13 me Année No. 616

Lundi - 23 - 4 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦١٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ — ٢٣ أبريل سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

إلى صاحب المعالى عبد الرزاق السنهورى بك

رأى واقـــتراح

إن من المحال أن تنقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن أن تنقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة

يا صاحب المعالى ، إن أخص ما يميزك على نظرائك فى العلم والحكم أنك تقدس الحقيقة وتطلب الحق . وإن سبيلك إلى ذلك عقل راجح واضح يتعمق ويتبسط ، ويحيط ويستوعب ، ويدقق ويحقق ، ويستقرئ ويستنبط ؛ فإذا رأيت الحق فى جانبك أقنعت ومنطقك سديد وحجتك مُلزمة ؛ وإن رأيته فى الجانب الآخر اقتنعت وعقلك راض ونفسك مسلّمة . وقد أجمع الذين عرفوك أن فى مناقشاتك الرأى أو فى مطارحتك الحديث متعةً للعقل والذهن ؛ لأنك توضح الخطة وتحدد الرسوم وتعين الغاية ، ثم تعرض الرأى عالمًا بما تقول ، وتسمع الرأى فاهمًا لما يقال ، ثم تعارض القول بالقول ، وتوازن الدليل بالدليل ، ثم تحكم الحكم المسبَّب لك أو عليك فلا تدع للمكابرة والمماراة سبيلاً إلى استئناف أو نقض !

لذلك أحببت أن أتقدم إلى معاليك برأى يتصل بالثقافة العامة ؛ ويقينى أنك إذا اقتنعت به أمضيته ؛ وإذا أمضيته كان حريًا أن يضيف عصر الفاروق إلى عصور بركليس وأغسطس والمأمون ولويس الرابع عشر ، وهى كما تعلم العصور الذهبية التى حددت المراحل المتعاقبة للانسان المتمدن فى طريقه إلى المعرفة .

تعلم معاليك أن أدبنا الجديد لا يزال ناقصًا فى نوعه قاصرًا فى بيانه . ناقص فى نوعه لأنه أنكر قديمه وجهل جديد الناس ، فلم يُغذّه ماض ولم ينمّه حاضر ، فظل مُخدَجَ الخلق لا هو حى ولا هو ميت . ولقد كان أدبنا القديم فى حدود مراميه اللسانَ العام لخوالج النفس الإنسانية فى أكثر بقاع الأرض ، فلم تكن هناك فكرة تجول فى ذهن كاتب ، ولا صورة تتمثل فى خاطر شاعر ، إلا وجدتْ فى هذا الخضم المحيط صدفة تستقر فيها . فلما تحولت عن مذاهبه الأنهار ، وجفّت على جوانبه الروافد ، عاد كالبحيرة المحدودة لا يمدها إلا قطرات المطر ودفعات السيل حينًا بعد حين . فالقارئ العربى الحديث لا يجد فيما أثر منه ولا فى أكثر ما استجد فيه غذاء عقله ولا رضا شعوره ؛ لأن المأثور منه ناقص لانقطاعه عن سير المدنية ، والجديد منه ناقص لخلوه من الآداب الأجنبية . والغريب المخجل أن المرأ يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغة العربية ! فالتركى مثلاً يستطيع أن يقرأ فى لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ؛ ولكن العربى لا يجد فى لغته لهؤلاء العباقرة العالميين إلا كتابًا أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ونشرهما على حسابه !

فإذا أردنا يا معالى الوزير لأدبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس : نرفده بآداب

الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ؛ فإن لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون أدبنا عالياً ما لم يلقح بآداب العالم ؛ والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب .

والأدب العربى قاصر فى بيانه ، لأنه مقطوع الصلة بحضارة العصر ، فلا يستطيع أقدر كتابنا أن يتحدث عما يستعمل من ماعون وأثاث ، ولا أن يصف ما يركب من باخرة أو طائرة . ومجمعنا اللغوى على ما نرى من نشاطه لن يقدم إلى الناس معجمه المنتظر إلا بعد جيل أو جيلين ، حين يكون كل شيء فى العالم قد تغير أو تطور ، فيصبح معجمه فى الجدة يومئذ كمعجم (لسان العرب) اليوم ! والزمان يا معالى الوزير يسرع ، والعالم كله يجد ، والسارى على مركب العجز لا يلحق ، والبيان القاصر نصف الخرس ، واللغة الناقصة ثلاثة أرباع الجهل .

وما قلناه فى اللغة والأدب نقوله فى العلم والفن ؛ فإن ما فى العربية منهما لا يعدو فى الغالب أن يكون ملخصات مجهولة النسب ، أو مقتبسات قليلة الغناء ، إذا نفعت أحدا فإنما تنفع طلاب المدارس . أما الشعب الظامئ إلى المعرفة فلا يجد بين يديه من أمهات الكتب العلمية والفنية ما ينقع غليله ويسد عوزه . وما دام الأمر كذلك فسيظل اللسان العربى والعقل العربى محصورين فى حدود القرون الوسطى لا يواكبان ركب الحياة ، ولا يسايران تقدم الفكر .

إن العلوم اليوم أوربية وأمريكية ما فى ذلك شك . وإن الفروق التى باعدت بين الشرق والغرب فى مدلول الإنسانية الراقية إنما يجمعها كلها لفظ العلم . وهذا العلم الذى يسخر السموات والأرض للانسان الضعيف ، ويذلل القطعان الملايين للراعى الفرد ، سيبقى غريباً عنا ما لم ننقله إلى ملكنا بالتعريب ، ونعممه فى شعبنا بالنشر ؛ ولا يمكن أن يصلنا به أو يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب ، فإن من المحال أن ننقل الأمة كلها إلى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن أن ننقل العلم كله إلى الأمة عن طريق الترجمة .

فالترجمة إذن يا معالى الوزير هى الوسيلة الأولى لدفع القصور عن اللغة ، وسد النقص فى الأدب ، وكشف الظلام عن الأمة . ويحسبنا أن ننقل معجماً من المعاجم العلمية الأوربية لتصبح لغتنا كاملة وثقافتنا شاملة ؛ فإنا مضطرون فى أثناء الترجمة أن نضع المصطلحات الحديثة لكل علم وفن ، فلا يتم المعجم حتى تتم اللغة . وإذا نقلنا إلى العربية نتاج القرائح لأقطاب العلوم والفنون والآداب من الانجليز والأمريكان ، والفرنسيين والألمان ، والروسيين والطليان ، أصبح هؤلاء الماليون جزءا من كياننا الأدبى ، وركناً فى بنائنا العلمى ، نعتز به ونستمد منه ونفتن فيه ونزيد عليه ، كما فعل آباؤنا الأقدمون بما نقلوه من علوم الإغريق والهنود والنبوط والسريان والفرس .

لذلك أرى — ورأيك الأعلى — أن تُنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة ، يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ؛ فإنها على اليقين ستكون جامعة شعبية لا تقل عنهما فى الخطر والأثر ؛ أو قل إنهما الميدانان المتقدمان وهى مركز التموين الذى يمدهما بالميرة والذخيرة والمدد . ثم يختار لها مائتان على الأقل من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ، ينقلون الآداب الأجنبية نقلا كاملا صحيحاً ، فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية . هذه الدار ستنقل إلى العربية كل يوم أربعمائة صفحة مصححة منقحة مهيأة للنشر ، قد تكون كتابين أو كتاباً أو جزءا من كتاب على حسب النظام الذى يوضع لها . فإذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . أما نفقات الدار فلا تزيد على مائة ألف جنيه ؛ وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الأمراء والأغنياء وجامعة الدول العربية . على أن ما ينفق فى سبيل هذا العمل العظيم يقل مهما كثر فى جانب ما يؤتيه من تجديد اللغة ، وتطعيم الأدب ، وتعريب العلم ، وتعميم الثقافة ، وتدعيم النهضة ، وتيسير القراءة ، وتشجيع القارئ ، وفى تحقيق منفعة واحدة من هؤلاء تخليد لذكر من قام بهذا العمل أو شارك فيه أو أعان عليه ؛ فما بالك إذا حقق هذه المنافع جماء ؟

ذلك جوهر الفكرة يا معالى الوزير عرضته عليك ، أما النظر فى تأثيلها وتفصيلها فأتركه إليك .

احمد حسن الزيات

النيف في العـــدد

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

فى مقالة (أبو العلاء المعرى) فى الرسالة الغراء ٦٠٤ فى الحاشية رويت هذا الخبر فى (الموشح) :

« نظر يعقوب الكندى فى شعر أبى تمام فقال : هذا رجل يموت قبل حينه ، لأنه حمل على كيانه بالفكر . ويقال : إن أبا تمام مات لنيف وثلاثين سنة »

فقال لى فى القاهرة عالم كبير : (لثلاثين سنة ونيف) .

فقلت : هذا ما جاء فى (لسان العرب) — عنيت المعجم — ولكن المبرد فى (الكامل) فى مواضع كثيرة قدم هذا المؤخر . ومثله غيره من الأدباء وكتاب السير والمؤرخين والعلماء . والذى ورد فى (الموشح) هو كلام الإمام المرزبانى لاريب فيه ، ولا تبديل وقد بعثنى تنبيه ذلك العالم على إملاء هذه الأحرف .

لم تجيء (النيف) مع العدد — حسب ظنى — فى كلام جاهلى أو إسلامى متقدم ، فهى فى هذا الاستعمال إسلامية متأخرة أو مولدة متقدمة . وإذا صاحبت قولاً جاهلياً أو إسلامياً متقدماً فقل : إنه مصنوع أو مبدل أوهو من عند راويه المحدث . ذكر المسعودى فى (المروج) هذه الجمل من خطبة منسوبة إلى على (رضى الله عنه) :

« وقد زعمت قريش أن ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب . تربت أيديهم ! وهل فيهم أشد مراساً لها منى ، لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين ، وها أناذا قد أربيت على نيف وستين »

ورواية الرضى فى (المجموعة النهجية) « وها أنا ذا قد ذرّفت على الستين » ، ورواية المبرد فى (الكامل) : « ولقد نيّفت اليوم على الستين »

فإن قال الإمام ما قال فليس هناك إلا (ذرفت أو نيفت على الستين) فاعرف ذلك ولا تثق بما روى المسعودى[1]

لم يقل ابن دريد فى كتابه (جمهرة اللغة) — وهو أقدم معجم بعد العين — فى النيف إلا هذا : « النيف الزيادة من قولهم نيفت على السبعين أى زدت عليها » ولم يزد ...

ولم يحدث سيبويه فى (الكتاب) ولا ابن سيده فى (المخصص) عن تلك اللفظة فى باب العدد بشيء .

يقول الجوهرى فى صحاحه : « النيف الزيادة ، يخفف ويشدد ، وأصله من الواو ، يقال : عشرة ونيف ومئة ونيف » .

وقال اللسان : « الأزهرى : يقال : هذه مئة ونيف — بتشديد الياء — أى زيادة ، وعوام الناس يخففون فيقولون ونيف ، وهو لحن عند الفصحاء . الأصمعى : النيّف والنيْف كميت وميت . قال اللحيانى : يقال : عشرون ونيف ومئة ونيف وألف ونيف ، ولا يقال إلا بعد عقد .

وفى (المصباح) : قال أبو العباس : الذى حصلناه من أقاويل حذاق البصريين والكوفيين أن النيف من واحد إلى ثلاث ، والبضع من أربع إلى تسع ، ولا يقال نيف إلا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومئة ونيف وألف ونيف .

وفى (همع الهوامع) : هما — يعنى البضع والبضعة — من ثلاث إلى تسع ، وبذلك فارقه النيف فإنه من واحد وفارقه أيضاً فى أنه يكون للمذكر والمؤنث بغير هاء .

فالنيف كما يستدل مما أورده الجوهرى والأزهرى واللحيانى والفيومى — تتأخر ولا تتقدم ، تعطف على العدد ، ولا يعطف عليها . وقد قدم المبرد فقال فى كامله (رغبة الآمل ج ٣ ص ١٨١ :

... فقال الحسن ونحن إذ ذاك نجرى على نيف وسبعين ألف ملاح .

ومثل ذلك فى ج ٤ ص ١٩٧ وج ٧ ص ٢٤٤ وفى ج ٨ ص ٩٥

وأنا أروى هذا الخبر بكماله إكراماً لبطولة المهلب وبنيه ورجاله وبطولة قوم شجعان يقول شاعرهم وقائدهم :

ألا أيها الباغى البراز تقربن ... أساقك بالموت الزعاف القشبا
فما فى تساقى الموت فى الحرب سبة ... على شاربيه فاسقنى منه واشربا

قال أبو العباس :

وجّه الحجاج إلى المهلب رجلين أحدهما من كلب ، والآخر من سُليم يستحثانه بالقتال ، فقال المهلب متمثلا :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وقال ليزيد : حركهم ، فحركهم فتهايجوا وذلك فى قرية من قرى إصْطَخْر ، فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشك فخذه بالسرج ، فقال المهلب للسلمى والكلبى : كيف نقاتل قوماً هذا طعنهم ! وحمل يزيد عليهم ، وقد جاء الرُّقاد ، وهو

(١) مما هو عريق فى المين والتلفيق خبر مروان بن الحكم حين عزله معاوية (رضى الله عنه) عن المدينة ـ رواه العباسى فى معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٩٥ ـ وقد جاء فيه : « فرويداً رويدا قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين وإنما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ... » والقول يومى إلى حديث مصوغ .

لماذا تفلسف الإنسان ؟

للدكتور محمد البهى

يعتبر مؤرخو الفلسفة القرن السادس قبل الميلاد بداية التفلسف الإنسانى . والفلسفة إذا قيل فى شأنها إنها محبة الحكمة ، والتفلسف إذا عبر عنه بأنه البحث عن الحكمة ، فمن غير شك أيضا أن الفلسفة فى أول عهدها مجموع المعارف التى حرزها الإنسان أو استخلصها من المعارف السابقة على عهدها ، وأن التفلسف فى بداية عهده أيضا نظر الإنسان فى هذه المعارف السابقة لاختيار مايصلح منها فى رأيه للبقاء . فالفلسفة هى معارف مختارة، والتفلسف هو إعمال الروية فى تصفية المعارف التى كانت متداولة فى الجماعة الإنسانية إلى حين التفلسف فى القرن السادس قبل الميلاد .

والتفلسف إذا كان تصفية واختيارا يفرض طبعاً وجود مجموعة من المعارف متداولة يضعها محلا للتصفية والاختيار . وقبل عهد التفلسف كانت هناك معارف متداولة فى الجماعة الإنسانية ، ولكنها كانت كلها معارف إلهية ، أى كانت منسوبة إلى الآلهة ، وكانت طائفة بالذات هى طائفة رجال الدين أو من تسمى بالكهنة تقوم بشأنها وتتعهدها بالحفظ والتناقل والشرح . وما عدا هذه الطائفة من طوائف أخرى كانت تقف من هذه المعارف موقف القابل المطيع الذى لا يسمح له بمعارضة أى نوع منها ولو معارضة نفسية داخلية ، فضلا عن معارضتها بالتفنيد عن طريق الحجة أمام آخرين ، فهذه المعارف لها قداستها من الجميع ، وقداستها تمنع نقدها وتحتم قبولها .

والإنسانية فى جماعات مختلفة وفى أجيال متعددة قبلت المعارف الدينية ، وقبولها يتضمن تقديسها وعدم نقدها ، وتقديسها وعدم نقدها ينسحب إلى تقديس من يقوم بأمرها وعدم معارضته . وما عرف للانسان من عمل فيها كان عبارة عن شرحها شرحاً عقليا يساعد على رواجها لدى أصحاب القلق النفسى من التابعين للدين . وبهذا كان عقل الإنسان فى خدمة التعاليم الدينية ولتأييد قداستها وقداسة القائمين بأمرها . وقد نسترسل فندعى أن خدمة الإنسان لهذه التعاليم عن طريق عمله العقلى لم يكن لعهد وجودها

من فرسان المهلب على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة ، وقد وضع عليها القطن ، فلما حمل يزيد ولّى الجمع ، وحماهم فارسان ، فقال يزيد لقيس الخُشْنى : من لهذين ؟ قال : أنا . فحمل عليهما، فعطف عليه أحدهما ، فطعنه قيس الخشنى فصرعه ، وحمل عليه الآخر فعانقه ، فسقطا جميعاً إلى الأرض ، فصاح قيس الخشنى : اقتلونا جميعاً . فحملت خيل هؤلاء وخُيِّل هؤلاء فحجزوا بينهما ، فإذا معانقه امرأة ، فقام قيس مستحيياً ، فقال له يزيد : أمّا أنت فبارزتها على أنها رجل ، فقالت : أرأيت لو قتلت ، أما كان يقال قتلته امرأة .

ولم يناقش العلامة المرصفى فى (رغبة الآمل) صاحب (الكامل) فى موضع من المواضع الأربعة فى حين أنه نبه على أشياء غير قليلة فى كتابه .

والحريرى الذى اعتاد تخطئة الصواب فى (درته) لم يغلط إلا من خفف النيف .

وقال أبو بكر الخوارزمى فى إحدى رسائله (ص ١٣٢ مطبعة الجوائب) : فى نيف وسبعين من جماعة شيعة .

ومثل هذا الاستعمال فى مروج الذهب ج٢ ص ١٩٥ و ج ٣ ص ٥٨ .

وفى تاريخ الطبرى ج ١١ ص ٢١٢ .

ومثله فى (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ج ١ ص ٢١٦ و ج ٢ ص ١٤١ و ج ٤ ص ٢١٥ و ج ١٦ ص ٢١٩ و ج ١٧ ص ٢٣١ و ج ١٨ ص ٨١ .

ومثله فى (معاهد التنصيص) ج١ ص١٠٢ وج٢ ص١١٦ و١٨٢

وفى (كليات أبى البقاء) ص ٣٦٠ .

* * *

ذلكم ما جاء فى مصنفات القوم ، وقد نزل النيف فى أقوالهم حيث نزل . وإنا لنستبعد تبديل ناسخين فيها . فما الذى حملهم على تقديم الزيادة على المزيد عليه ؟

هل قاسوا النيف على البضع فى بعض حالاته فقالوه ، أو استخفوا هذا التركيب فمشّوه . وهل عليهم فيما أتوه من حرج ؟ وهل نؤخر نحن معشر العرب فى هذا الزمان أو نقدم ... ؟

محمد إسعاف النشاشيبي

ونشأتها فحسب ، بل استمرت أيضاً في مراحل تطورها. والإنسان بعقله كما أيدها في صفاتها أيدها أيضاً وقد دخلتها صنعة الدين . وربما كان تعظيم طائفة الكهنة وتميزها عن بقية الطوائف في الأمم الشرقية القديمة من عمل الإنسان المؤيد أو من نتائج تأييده لتلك التعاليم عن طريق عمله العقلي ، ولم يكن بوحي أصل من أصول أديان تلك الأمم .

وقبل التفلسف الإنساني أو قبل التفلسف الإغريقي في القرن السادس قبل الميلاد كانت تسيطر إذاً على معارف الجماعة الإنسانية عدة مظاهر :

١ — كانت المعارف الدينية وحدها هي التي تقود الإنسان .

٢ — وكانت طاعة الإنسان لهذه المعارف ناشئة عن تقديسه لها واعتقاده بعصمتها .

٣ — وكان القائم بأمر هذه المعارف ، سواء بتعليمها وتلقينها أو بشرحها وتحديد مدلولات عباراتها ، طائفة معينة هي طائفة الكهنة .

٤ — وعمل الإنسان العقلي كان مرتبطاً بأصول هذه التعاليم وفي خدمتها ولغاية تمكينها من النفوس الحائرة .

* * *

وإذا كان القائم بأمر التوجيه في الجماعة الأنسانية طائفة معينة ، وإذا كانت في توجيهها تصدر عن إرادة الله ومن تعاليم وسيط في الكون وهو الرسول ، وإذا كان غيرها من الطوائف في الجماعة عليه أن يخضع ويطيع فحسب ؛ فليس هناك من ضمان في أن يبقى توجيه الطائفة المعينة في دائرة التعاليم الأولى للدين . وليس هناك من ضمان أيضاً في أن يكون شرحها لهذه التعاليم في حدود الغاية التي يبغيها صاحب الرسالة ، بل يجوز أن تجعل هي من الدين سرا تختص بعلمه دون بقية التابعين وهو غير ماعرض على هؤلاء التابعين ، ويجوز أن تشرح ماعرف لهؤلاء باسم الدين بما تراه هي لا بما يهدف إليه الدين نفسه . وإذا جعلت من الدين سرأخاصابها فليست هناك لأحد استطاعة في أن يراقبها فيه ، وإذا فسرت ماعرفه الناس من تعاليم الدين بما تراه هي فاسناد التوجيه إليها بخاصة وقيامها وحدها دون سواها بأمر هذه التعاليم يحميها من التجريح ومن رميها باتباع الهوى والغرض في التفسير . ثم نسبتها إلى مقدس هو الدين يزيد في حمايتها وفي إنماء الأغراض الخاصة عنها .

وفي طبع الأنسان إذا شعر بالتميز أن يطمع في أن تتسع دائرته حتى ليود أن يصبح طبيعة أخرى مغايرة لطبيعة الانسان ولكنها أرقى منها . ورجال الدين أو طائفة الكهنة كانت متميزة لأنها اختصت بمعرفة الدين وشرحه والقيام عليه ، وطمعت أيضاً في أن يزداد تميزها . وقد زاد حتى عدت في بعض العهود أبناء للآلهة أو من سلالتها كما اعتبرت بعض الطبقات الأخرى عبيداً لها . وانقسمت الجماعة الانسانية عندئذ إلى قسمين متقابلين : قسم شريف هو طائفة الكهنة ، وقسم آخر خسيس هو العبيد والأكرة

وإذا تميز الإنسان أو ادعى تميزه إلى حد أن يعتبر طبيعته مغايرة لطبيعة من دونه ، وفي الوقت نفسه يتولى هو أمر هذا الذي دونه ، فتوليه للأمر يصدر فيه عن الشعور بالمفارقة . والكهنة كذلك جعلوا الناس مختلفين ، ووضعوهم أمام آلهتهم مواضع مختلفة وجعلوا تكاليفهم ورسومهم في العبادة مختلفة أيضاً .

وهكذا آل الدين الذي شأنه أن يسوي بين الناس في الطبيعة ويجعل تفاوتهم في بعدهم أو قربهم من مثله الأعلى ، إلى أن يكون عاملا في التفريق بين طبائعهم . وهكذا آل أمر رجال الدين إلى أن يكونوا طبقة متميزة ، وآل توجيههم إلى أن يكون إملاءً للمحافظة على تميزهم أو للمحافظة على بقاء دولتهم . وبالتالي أصبح الدين صناعة محتكرة ، وأصبحت المعرفة المسيطرة على الجماعة الإنسانية لا لإرشاد الإنسان إلى سعادته ، بل لإسعاد طائفة معينة.

* * *

هذا المصير الذي صارت إليه المعرفة الدينية ، وصار إليه رجال الدين فيما قبل القرن السادس قبل الميلاد ، وصارت إليه الجماعة الإنسانية ، حمل بعض الناس على أن يثور ، وعلى أن يسلك طريق الفكر في ثورته للرد والإقناع . ولم تكن ثورته الفكرية حباً في معالجة الجدل ، بل لوضع حد لامتهان الإنسان ، ورد اعتبار الإنسان ، وتخليص الإنسان من الإنسان ، وإسعاد كل فرد من الإنسان لا لطائفة معينة بالذات . وتوجه هذا البعض إلى تعاليم

الكهنة لا ليقرها ويقبلها كما كان الشأن بالنسبة إليها بل لينقدها. ومعيار نقده ليس السماع والرواية ، وليس الإذعان للعصمة والقداسة ، بل عقله ومنطقه .

وأطلق على هذه الثورة الفكرية تفلسفاً . والنفر الذى رفع علم هذه الثورة كان من الإغريق . والشرق إذا كان فكر قبل هذا ، وأنتج فى محصول الفكر البشرى ، فقد كان على نحو ما يبنا فى دائرة الدين ولخدمة المعارف الدينية . والإصلاحات التى قامت فى الشرق لرفع مستوى الإنسان ورد اعتباره وإزالة الفوارق الطائفية كانت إصلاحات دينية كالزرادشتية والبوذية . فالأولى كانت تعديلا دينياً أو إصلاحاً دينياً للديانة الشعبية الآرية التى قامت على عبادة النار والطبيعة المحسوسة ، والثانية كانت تعديلا للبراهمية التى حولت الجماعة الهندية إلى طبقات متفاوتة فى الطبيعة .

وبنشأة التفلسف تكونت الفلسفة ، وأصبح فى الجماعة الإنسانية نوعان من المعرفة : المعرفة الدينية ، والمعرفة الفلسفية أو الإنسانية . وإذا كانت الأولى يدعى فيها العصمة ، فالثانية للإنسان أن يصوّب أو يخطئ فيها . وإذا كانت مبادئ الأولى محدودة لأنها وقف على الوحى ، فالثانية قابلة للزيادة والنماء لأنها فى متناول كل الأجيال الإنسانية . وإذا كان رجال الدين هم المحافظون فى كل أمة بحكم موقفهم من عدم التصرف فى معارف الدين ، فالفلاسفة هم رجال الثورة الفكرية وأصحاب التطور فى توجيه الإنسان . وإذا كان رجال الدين يضعفون من قيمة الإنسان واعتباره ، وقد يلغون أثره فى الحياة ، ويردون كل أثر فيها إلى الله ، لتتضاعف بذلك عظمة الإله ، فالفلاسفة يشيدون بالإنسان وينسبون إليه أثراً ويسندون إليه فعلا فى تغيير الحياة نفسها .

والفيلسوف وإن كان رجل ثورة على التعاليم الدينية ، فثورته فى الواقع على التعاليم التى كونها الإنسان باسم الدين ، والتى ربما قلب بها أوضاع الدين وحرف بها هدفه . والفيلسوف وإن رمى بالإلحاد فرميه به عادة من رجال الدين ، وليس بلازم أن يكون منكراً للدين وإن أنكر تعاليم رجاله . ولكنه مع عدم إنكاره الدين لا يبلغ مبلغ رجل الدين فى إلغاء وجود الإنسان بغية إظهار عظمة الله .

ولأن التفلسف فى بدايته كان خروجاً على تعاليم رجال الدين وعلى المألوف من المعارف المسيطرة على الجماعة الإنسانية عدّ الفيلسوف مناوئاً لرجل الدين وعدت الفلسفة عدوة للدين . وبمقدار ما فى القضية الأولى من صدق بمقدار ما فى الثانية من مبالغة . إذ الأديان فى طبيعتها تنظر إلى أفراد الإنسان نظرة مساواة وتهدف إلى إسعادهم جميعاً ، وكذلك الشأن فى الفلسفة ، وفقط طريق أحدهما قد يختلف عن طريق الآخر .

وكما لم تستطع الفلسفة أن تلغى الأديان كذلك هذه لم تستطع إلغاء الفلسفة ، بل الفلسفة إن لم تنته إلى ماينتهى إليه الدين، تعترف بحيز له لا تستطيع السير فيه إذا اقتحمته ، والدين فى وضعه الأصلى إذا لم يشجع التفكير الإنسانى فى دائرة ما رسمه له يدع له مجالا خاصاً به ، لا يبدى — إذا أبدى — رأياً فى ناحية من نواحيه إلا عن طريق الإجمال .

وما بين الفلاسفة ورجال الدين ، فلأجل توجيه الإنسان . فالفلاسفة يرون أن رجال الدين لما لتعاليم الدين الذى ينسبون إليه من قداسة ، ولما لهم هم أنفسهم من طبيعة إنسانية تميل إلى الجاه والسلطان ، قد يكون لهم خطر على الإنسان فى قيادتهم له إن احتكروا الدين وجعلوا فهمه وقفاً عليهم وحدهم . فلكى لا يقع هذا الخطر يذكر الفلاسفة بتفلسفهم الإنسان بقيمته واعتبار وجوده ، حتى لا يكون انجذابه إلى تعاليم رجل الدين عن غير روية واختيار . ورجال الدين لأنهم يرون فى الفلاسفة منكرين لأفهامهم الدينية ومفرقين بين الدين وتعاليمهم ، ومحرضين الإنسان على عدم الانقياد لهم فى يسر وسهولة يقررون بعد الفلاسفة عن التوجيه الصحيح للانسان ويصورونهم منحرفين عن الدين .

وإذا كانت الفلسفة فى بدايتها تكونت من المعارف الدينية ، فالفلاسفة فى العصور المختلفة إلى عصرنا الحاضر نشئوا تنشئة دينية وكانوا من رجال الدين قبل أن يصيروا من رجال الفكر ، وإن اختلفت بدايتهم عما صاروا إليه ، فليس لأنهم أنكروا الدين ، بل لأنهم خالفوا رجال الدين فى تصورهم للدين وعرضهم له .

وإذا كان تفلسف الإنسان فى أول الأمر لرفع طغيان الإنسان باسم الدين ، فلم تزل حرية التفكير التى هى أساس التفلسف وسيلة الإنسان السلمية لكبح اعتداء الإنسان باسم أى شىء آخر .

محمد البهى

صلوات فكر
في محاريب الطبيعة
للأستاذ عبد المنعم خلاف

مع العالم الأكبر

لنا نحن الآدميين عالمٌ صغير، هو الأرض. شُغلنا به وبصَغاراته عن العالم الأكبر وغاياته، بل إن لأكثرنا عالماً لا يعدو أن يكون بيتَه أو حجرته أو حقله أو وظيفته أو ديناره أو كأسه أو بطنه، إلى آخر هذه التفاهات.

وقد مضينا نقطع العمر هكذا دائرين على هذه الصغارات كما يدور الذباب على القاذورات والعُفونات ... وكأنه لا يعنينا من شأن هذا العالم الأكبر الذي نرى معالمه العظيمة في السماء تضيء لنا، وتنادي عيوننا بنورها إلى النور الأكبر الذي يضيء ذلك العالم، ما نراه ولاما لا نراه، لنتجه إليه بآمالنا وأفكارنا ومساعينا، ولتتسع سماحة نفوسنا باتساع عالمنا الذي يشغل بالنا؛ فإن الذي يتجه إلى الكثير ويُعنَى بالعظيم، قليلا ما يخاصم على القليل والحقير. وإن السر في سماحة النفس التي شغلتها السماء فلم تُخلِد إلى الأرض، هو هذا الاتجاهُ إلى مفاتح الرحمة وكنوز الثراء وخزائن النور الأعلى!

لهم عذرُهم أولئك الذين مضوا قبل التاريخ، وقبل معرفة جدود الأرض وضآلتها ومركزها الصغير في الكون، أن تشغلهم أنفسهم أو ديارهم الضيقة، أو جزرهم المنثورة في محيطٍ مائيٍّ، أو واحتُهم الضالة في بيداء، وأن يحسبوا أن العالم ضيق لضيق ما يعرفون ...

ولكن، لا عذر لأبناء هذا الزمان الذين يتلق صِغارهم وناشئوهم كثيراً من حقائق الكون وأوضاع الأرض وأخبار الأمم مما لم يُيسَّر عُشر معشاره لفلاسفة تلك الأزمنة التي خلَت وبادت!

* * *

كما كان يشير الرُّوَّاد الأولون بأيديهم صَوْبَ الدروب والبقاع المجهولة التي كشفوها وارادوها، ينبغي أن يشير الآن رواد الحياة والعلوم للناس إلى الطريق الذي يجب أن يسيروا فيه وحده إلى حقائق الوجود الحالي وعلومه ومعارفه ... ينبغي أن يشير المعلمون والآباء للأطفال إلى ذلك الطريق ... ويفتحوا مداركهم على فجاج الحياة ومناجع الأسرار، وأن يُشعروهم رهبة الرحلة في هذا الكون!

ينبغي أن يقول الوالد الجسدي أو الروحي لولده عند ما تتفتح مداركه ويستطيع التمييز: يا بني إني جئت إلى الحياة مثلك. وقبلي جاء أبي وأبو أبي، في حبل نَسْلٍ طويل يتصل بآدم أبي البشر... لترى هنا ما تراه أنت اليوم بعيونك الجديدة. وقد أصاب عيني الكَلالُ من كثرة التحديق إلى مشاعل النور التي تراها فوق... ولم يشغلني عنها شاغل من ظلمات الأرض. وحسبُك نظرةٌ بالليل الرهيب لترى أن عينيك غريبتان في هذه الظلمات! لأنها لم تُصنع لها غُربةَ روحك في كثافة جسمك التي لم تخلق لها ...

يا بني إن عينيك مخلوقتان لنور الشمس والنجوم التي تعرفها في السماء ... وكذلك روحك مخلوقة لنور الكون وروحه. ولا تستطيع حياةَ الظلام الأرضي ... فارفع عينيك إلى منابع نورها، وارفع روحك إلى منبع نورها ... يا بني إننا أُلقينا في ظلمات هذه الأرض لغرض عظيم خفيٍّ من أغراض واهب الحياة. ثم لا نلبث أن نُرفع ونعود إلى ذلك العالم الذي ألقينا منه.

يا بني فكر دائماً في أن تتخذ سُلَّماً تعرج عليه روحك إلى هذا العالم، ولا تُخلِدْ إلى الأرض إخلاد حشراتها وحيواناتها الدنيئة. ولا تُدِم النظر إلى تفاهاتها وحقاراتها وضيقها، لئلا

يضيق نظرك وخلقك وفكرك ، وتَعْشَى عيناك من رؤية النور ، وهو ما يجب أن تبصر به ... شتان بين عقلين أحدهما يُحدِّق فى النور والثانى يأبى أن يرفع عينه إليه .

الأول أوسع وأعلم وأروح ... والثانى أضيق وأجهل وأكثف ... لأنه مُطارد ملهوف خائف من فوات فرصة حياة الظلام التى لم يرغبها إلى غير رجعة ، فهو يملأ منها كل أوعيته ، وكلما امتلأ غاص حتى لا يبقى منه على سطحها إلا ما يبقى من فقّاعة على سطح وحل وحمأ مسنون !

على عتبة من عتبات الكون !

إنما مثل الله ، جل جلاله ، مع أحدنا حين أخرجه من العدم إلى الوجود ، وأدخله هذه الأرض ليريه من عجائب ملكوته ما يثير به شهوته وتطلُّعه للخلود ، وحبه للمتاع بملكوته وعجائب صنعه ، كمثل غنىّ أخذ بفقير جائع عارٍ إلى قصره الفاخر ، وأوقفه على عتبته وفتح له الباب ، فرأى من موقفه هذا ما أثار شهوته للطعام والمتاع والسكنى فى هذا البيت ... ولاشك أنه سيسأل هذا الغنى ويتمنى عليه أن يمنحه دخول هذا القصر والخلود فيه والمتاعَ بما به من بهجة وتعاجيبَ وثراء ... ولا شك أن موقفه الصحيح ينبغى ألا يكون شغل النفس بعتبة المنزل ، ورؤية واجهته وحدها بدون تطلع إلى ما وراءها ...

كذلك هذه الأرض إنما هى عتبة من عتبات ملكوت الله الذى لا نرى إلا جزءاً ضئيلا من سطحه فى السماء ... ينبغى لنا ألا نُخلِدَ إليها وننسى ما وراءها . بل ينبغى أن نسأل الله مالك هذا الملكوت الأعظم ، ونُلِحَّ فى السؤال أن يدخلنا إلى واسع ملكوته ورحاب رحمته وسُبُحات جماله وأفانين صنعه ...

ذلك هو الموقف المعقول إن كنا ذوى طبع سليم وعقل غير مصروف ومزاج غير مَؤُوف !

دود !

رأيت دوداً حقيراً شنيعاً يرعى فى جيفة كلب بشراهة ، فتذكرت مصيرى وفزعت ..

ثم رأيت فكرى يقول فى رنة أسف وألم وتحد : أنت يا هذا الدود تأكلنى وتمزق أوصالى وتغيبنى فى جوفك ... ثم تفنى أنت أيضاً . !

لى الله ! لك الله ياجسدى وأعضائى التى تجمعت لأكون ! لكما الله ياقلبى ويامخى ! ياموضعى الأسرار الرهيبة منى ! والله لما اخترتماه من معانى الحق والجمال والحب والخير والإيمان إن كان مصيرها كمصيركما !

هبوا أحشائى السفلى ومواضع القذر فى جسمى تفنى هذا الفناء وتصير إلى هذا المصير الرهيب ؛ ولكن مابال رأسى وقلبى يفنيان مع هذه الأنجاس والأقذار . ! مابال الرأس يساوى القدم واللسان يساوى الظفر ! !

أنا أفنى هذا الفناء مع الكلاب ! !

- كلا ! لستُ هذه الأوصال ... ولكنها دوابىّ وآلاتى أركبها وأعمل بها ، تفنى وتتجدد فى حياتى وتتهدم وتتخرب بعد مماتى .. أناالساكن المستخفى فى جسمى ولا أراه ! والذى يحدثنى الآن ويحاكمنى ويدير هذه الآلات ويوجهها .. ذلك كائن آخر له شأن آخر ...

إنه هو الذى يتخلى عن تلك الأوصال . وسواء بعده رأس وقدم ، وعين وظفر ؛ فإنها آلاته تُرساً أو مسماراً ، وجهاً أوقفا ، لابد له منها ليعلم بها ماهنا ويستكمل شئونه .

إنه هو الذى ينظر مصير أوصالى فى جوف الأرض ويتعجب من شأنها معه الآن ، وشأنها بعد أن يتخلى عنها ...

إنه هو الذى يذكرها الآن بمصيرها لِتَجِدَّ وتعمل وتأخذ نصيبها من الاحساس والشعور والفكر والعلم والقوة والنزوع قبل ألا تستطيع .

إنه راصد يقظ دائماً وراء الحس والفكر ، يقول هذا حسن وهذا قبيح ، وهذا حق وهذا باطل ...

إنه من عالم الصَّحْو المُطْلق ، والإدراك الكُلِّي ، والخلود السَّرْمَدي ، والانطلاق الحر ، والجمال الدائم . لا يفزع من ذلك المصير الحقير لنَعْله البالية التي بها يسير في أوعار الأرض وأشواكها ومجهولاتها ومَهُولاتها ، بعد أن يقضي منها أوْطاره ..!

إن هذه الأوصال طين مُزَوَّق ، لبسته روح الحياة فمنعت عفونته وظلمته ، وقللت كثافته ... ثم لا يلبث إذا فارقته أسرار الحياة أن يختمر ويتعفن ويتحلل ، شأنه شأن كل نوع من طين الأرض ، يوقد عليه في حرارة الحياة ... فلا بأس أن يذهب روح الحياة ويتركه يرتد إلى ما كان ...

ومن الطين وروح الحيوان تولد كائن آخر هو الإنسان الذي يستعلي على ذلك المصير الفاني ، ويتعلق بالفكر العالي ، والجمال السَّنِي ، والكمال السَّرِيّ ... هو الذي فزع حين رأى جيفة الكلب ، وأبى حكمه ويقينه أن يكون مصيره مصير روح هذا الكلب ، وإن سَلَّم لقميصه المادي أن يَجَيَّف كما جَيَّفت جثة الكلب ...

عطر الخلود ورياه :

خَبَرْتُ الحب ، فلم أره من أشيائه هذا العالم الفاني ... وإنما هو من الخالد ... هو عطر الخلود ورَيّاه ، يهُبُّ حين يتماس قلب بقلب فلا يشعر به غيرهما ...

وإذا صح أن الحب في أكثر حالاته البشرية هو عاطفة ممهدة للزواج والشعور بالجنس ، أو أنه خدعة لتحقيق مآرب من امتداد النوع ... وإذا صح أن ثمرة الغريزة هي الولد ، والنسل هو امتداد الشخصية الأبوية ، وأنه صورة من صور الخلود الذي تتعلق به وتتمناه كل ذات لنفسها ... إذاً فقد صح قولي ، إن الحب هو صبوة النفس إلى عالم الخلد ...

ويحس الفرد حين يصرعه الحب ، ويغدو قلبه في يد هذا الطفل العابث الدائم الطفولة ، أنه يَتهافَتُ على موارد الحياة ، ويَهفُو قلبه إلى جميع مصادر الأنس والبهجة والتفتح والخفة والطيش إلى ما تعزف النفس عنه حين لا تكون في قبضة ذلك الطفل . وهذا يؤيد عندي أن الحب هو مفتاح الشعور العميق بالحياة ، وأكبر دافع إلى خوض غمارها وخُبر شعابها .

وليس يكون تصور الحب أصحَّ وأوفق من تصور قدماء اليونان إياه ، حين صوروه طفلا . فالشعور بالطفولة وارتداد النفس اليها بين المحبين ، هو أخص صفاته وسماته ؛ إذ هو يَرُدُّ الشيخ والكهل إلى حب الحياة والتجمل والتزين لها ، كحب الأطفال وتجملهم ...

ولا غرابة مع هذا أن يكون الحب مستشاراً سيء الرأي ... لأن طفولته تمنعه من سداد الأحكام !

عبد المنعم خلاف

مقالات فى كلمـــات

للأستاذ على الطنطاوى

مقدمة

كان عنـدنا مدرس (فاضل) ، يعلمنا الإنشاء ولا ينشىء ، ويريد أن يجعلنا كتاباً وما كان قط كاتباً ولا صاحب قلم ، وكان مما لقننا من مسائل هذا (الفن ...) ولم نستفد منه لأننا لم نعمل به ، أن القطعة الأدبية يجب وجوباً لا جوازاً أن تجىء فى أحد عشر سطراً ، فى كل سطر إحدى عشرة كلمة ، فإن زادت على ذلك فهو الإسهاب المملّ الذى وصفه أهل البلاغة ، وإن نقصت فهو الإيجاز المخل ، وأن الموضوع إن انتشر على الكاتب واتسع كان عليه أن يأخذ من أطرافه ، ويضم بعضه إلى بعض ، ولو بتر فى سبيل هذا النظام (الأحد عشرى) عضواً منـه أوهدّ ركناً ، حتى يعود إلى حدّه ، ويدخل فى أحد عشر سطراً لا تزيد ، وإن ضاق عن ذلك وكان فى أقل منه مجزأة ودلالة على القصد ووفاء بالمرام ، كان على الكاتب أن ينفخ الموضوع حتى يكبر ، أو يركب له فوق أعضائه أعضاء أخر ، ولا بأس أن يخرج مخلوقاً مشوهاً عجيباً ...

لقد مرّ على هذا المدرس دهر طويل ، وأكبر الظن أنه قد ذهب إلى رحمة الله ، ولـكنى كلما عرضت لى فـكرة لا تبلغ أن يكتب فيها مقال ذكرته ، فأنا أضيع صوراً وخواطر كثيرة لأنها تجىء فى الجلتين أو الثلاث ولا تؤلف مقالا ، ومن حقها علىّ وحق القراء ألا أضيعها ، وأن أدونها كما هى ...

لذلك فتحت هذا الباب (مقالات فى كلمات) أطرقه كلما تجمع لدىّ من هذه الكلمات ما يصلح للنشر :

ردوا علينا فننا

كنت أجوز أمس سوقاً فى حىّ بلدى من أحياء القاهرة ، أسرع الخطو لأنجو من هذا البلاء الذى يأخذ بالعين والأنف والأذن ، قذارة ورائحة مزعجة وضجة مدوّية ، وفى بعض هذا ما يهرب منه ، وإذا بى أسمع صوتاً تيقظت له روحى وتنبهت أعصابى ، صوتاً منبعثاً من قهوة هناك ذكرنى أيامى الخوالى وبلدى ومجالس لى فيه . واشوقاه إلى هذه المجالس ! صوتاً أبصرته يطفو على وجه هذه الأمواج العاتية من ضجة السوق وصراخ الباعة ، يرقص نورانيا ، ثم يذهب فى جوانب السوق القذرة فيغسلها ، ويطهرها ويحيلها جنة شممت عبيرها ، ورأيت وردها ، وسمعت تغريد بلابلها ، ذلك الصوت هو (دور) قديم للصفتى طالما سمعته فم أسلّه ، ولم تبل فى أذنى جدّته ، هو دور (يا الله اصلح الحال) الذى يقول فيه ، يصرخ صرخة متألم محروق (أنا على نار فى انتظار مطلوبى) و (يا اللى عليك العين تبكى أشوفك فين) يرددها وما أحلى ذلك الترداد إذ يقلب فيه الأنغام والقلوب ، وهذا هو سرّ فننا ، وفيه براعة المغنى من مغنينا ، أما الغافلون فيحسبونه ترداداً نمطياً ، وقولا معاداً ، وهو السحر ، وهو الفتنة ... لقد نسيت منه السوق ، ونسيت يومى ، وعشت مع هذا العاشق الذى تبكى عينـه على حبيب لا يدرى أين مقره ومثواه . وأبصرت مأساته ، ولمست جرحه الدامى ، وأحسست دمه الآنى .

يا ناس ، افهموا عنا ، وسلوا قلوبكم ، ودعوا التقليد ، فلئن كان العلم عالمياً لا جنس له ولا وطن ، فالفن لعمرالفن ما كان عالمياً ولن يكون . حاولوا أن تطربوا الإفرنج بغنائكم . إنكم لن تطربوهم ولا تطربون أنتم لغنائهم ، ولـكن منا من يستشعر قوتهم وضعفنا ، فيخادع نفسه رياء وتقليداً . يا ناس ، هذه أغانينا ، لا ما تنقلونه الينا من هناك . إنها لنا وحدنا . إنها ألفت من خفقات قلوبنا ، وأشواق محبّينا ، وزفرات عشاقنا ، ودموع آلامنا ، ودماء أكبادنا . ألا ترون المغنى ينطلق بها صوته حراً ممتداً ، على حين نرى أصحاب هذا الفن (الجديد) ، يفنون ملوية أشداقهم ، يعتصرون الحناجر اعتصاراً ، فيخيل إلىّ وأنا أسمع منهم (آه ...) وهم يرجعون ألفها ، أنى أمام نفساء تصرخ من آلام الوضع !

أليس حراما عليكم يا أيها الموسيقيون ، أن تحرمونا هذه المتعة بفننا الذى هو لنا ، وأن تأتونا بكل غريب عنا ! ألم تدركوا أن أذواق الناس لا تنشرح إلا للشرق الأصيل ؟ أنسيتم كيف هتف السامعون فى كل قطر عربى لصوت (على بلد المحبوب وديني) لأنه لحننا ، ومعانيه معانينا التى نحس بها ؟ ما لناوللجندول

وأهل الجندول؟ ما لنا ولأنغام الإفرنج التي لا طعم لها في حلوقنا؟!
إن كان لا بد من تجديد . فهاتوا مثل تجديد سيد درويش !

أما إنني قد أعجب بعبد الوهاب ، ولكنني أطرب لدور الصفتي

أما الطرب الحق الذي يهز نفسي ويبلغ قرارتها ، فللعتابا الشامية ، والأبوذية البغدادية ، وهذه الأغاني البلدية المصرية !

أي والله وقولوا عني ما شئتم !

لذة الخمول

إن من دأبي كلما هبطت بلداً لا أُعرف فيه ، أن أجوب طرقاته وأضرب في سككه على غير هدى ، أمشي حيث يدعوني بصري وتحملني رجلاي ، وكلما رأيت مشهداً استوقفني وقفت عليه ، أستمتع بالجديد ألقاه ، ولا يلقاه الناس جديداً لطول ألفتهم إياه ، وأعجب من الأمر لا يعجبون منه ... لذائذ خصصت بها من بينهم وحدي !

وأختزن هذه الصور في موضع الذكريات من نفسي إلى يوم الحاجة إليها ، كما يدخر مصور السينما ما يصور من المشاهد ليضعه في مكانه من (الفلم) .

وسر المتعة في هذا التطواف أني أرى الناس ولا يرونني ، لأن جهلهم بي يصرفهم عن الانتباه إليّ ، فأكون كمن يلبس (طاقية الإخفاء) فيحس الحرية والانطلاق وأنه هو وحده مكافئ لهؤلاء الناس كلهم ، وتلك هي لذة الخمول والنكارة ، وإنها لأكبر من لذة الشهرة . ولأن أمر في الطريق لا يعرفني فيه أحد أحب إليّ من أن يشير بإصبعه إليّ كل واحد ، وإذا كان الرجل المعروف يزهى وينتفخ فإنه يتقيد ويتضايق إذ يحس أنه مراقب ، تعد عليه أنفاسه ، وتحصى حركاته وسكناته ، وإن المجهول المغمور أهدأ منه بالا ، وأسعد حالا ... فلا تحسدوا أهل الشهرة على شهرتهم ، بل اغبطوا أهل الخمول على خمولهم ...

مجلة أوتوماتيكية :

من أعجب ما رأيت في مصر ، وما أكثر عجائب مصر ، مجلة لا يدري صاحبها من أمرها إلا أن يرسل الورق إلى المطبعة وأن يدفع الحساب ، أما الكتابة فيها وإعداد مقالاتها فيقوم به صاحب المطبعة بالمقص ، فهو يقطع من الجرائد والمجلات والرسائل ما يراه يصلح لها ، والمنضد يصف حروفه ، والطابع يطبعه ، ثم ترسل المجلة إلى المشتركين والباعة ، وأعجب من هذا كله أن صاحبها المكتوب اسمه في رأسها بالقلم الجلي لا الثلث ، لا يقرؤها ولا يطلع عليها أبداً ، ولا يحاول أن يعلم ما الذي نشر فيها ...

... والناس يسمونه صحفياً ، وأديباً ، وكاتباً ، ووزارة المعارف — فيما سمعت — تشتري من مجلته أكثر مما تشتري من مجلة الرسالة مثلا ... ويقال بأن هذا العصر عصر الحقائق ، لا عصر التدجيل !

التطبيع :

التطبيع : هو الخطأ المطبعي كما سماه الأديب الضليع واللغوي المحقق، الذي لم يسم عضواً في المجمع اللغوي في مصر، النشاشيبي .

وإن في قلبي من التطبيع لحزات وغصصاً ، أكتب المقالة وأبعث بها إلى المجلة ، فتجيئني وقد حرفت فيها الكلمات وصحفت ، وبدلت وغيرت ، وزلزلت عن مواضعها وزحزحت ، وأتى بما لا يخطر لي على بال ونسب إليّ ووضع عليه اسمي ، ولو عرفت العامل الذي صنع بي ذلك لأخذت بخناقه ، ثم لم يشف غيظي منه إلا أن أنزل عليه ركلا ولكما ، ولكني لا أعرفه ولا آلوه ، فليعلم ذلك القراء ، حتى إذا استشكلوا شيئاً أو وجدوا خطأ قدروا الضمير المستتر فيه إلى العامل قبل إعادة الضمير فيه إليّ ، أو سألوني عنه قبل أن يأخذوني به .

القاهرة **علي الطنطاوي**

تصويب

وقع تطبيع في مقالة (كلمة لا بد منها) في العدد ٦١٥ من الرسالة وهو :

الخطأ	العمود	السطر	الصفحة	الصواب
ردّه	٢	٣	٣٩٢	ردّ
يشنعوا	٢	٩	٣٩٢	يشفق
يخرج	٢	٩	٣٩٢	لا يخرج
فلا ينشر	٢	١٢	٣٩٣	ينشر
نصل	٢	١٣	٣٩٣	نصل إليها

العلم الحديث والعمران

للأستاذ نقولا الحداد

يقوم عمران البلاد على نتاج العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية ، ودماره يقوم على هذه أيضاً .

المدنية الغربية الحديثة هي مجموعة الاختراعات المادية العملية العجيبة التي أثمرها هذا العقل الإنساني القدير في القرن الماضي ونصف الحاضر مستندة إلى العلوم الرياضية والطبيعية ومقترنة بتوسع الشؤون الاجتماعية من اقتصادية وسياسية وصحية .

وأسوأ مساوئ هذه الاختراعات التي تعاظم شأنها مع تقدم العلم أنها كانت أفعل العوامل في تقويض العمران وإطفاء نور المدنية . فما ابتكرته هذه المدنية الحديثة من علم واختراع كان مقوّضاً لأركانها وهادماً لبنيانها . وقد يكون في المستقبل العامل الوحيد لفنائها « كدودة القز ما تبنيه يهدمها » .

سطعت هذه المدنية الغربية حتى غلف ضياؤها سطح الكرة الأرضية ، وكادت تغمر النوع الإنساني بلوامع السعادة والهناءة ، لولا ما اعتورها من غياهب النزعات السياسية والاقتصادية ، فكانت هذه النزعات تثير ثورات الشعوب والأقوام بعضها على بعض فتطفئ تلك اللوامع بألوف منتجات الكيمياء والبخار والكهرباء التي تمتع بها العالمان القديم والجديد مما يعلمه كل إنسان وبألوف تلك المنتجات وما أضافته عقول الحرب إليها يتدمر الآن عمران العالم كله . لذلك يقول بعض قصار النظر: « لا كان العلم والاختراع ولا كان هذا الدمار » .

وقد خفي على هؤلاء أن الذنب ليس ذنب العلم والاختراع ، وإنما هو ذنب هذا العقل الإنساني العجيب الذي ابتدع هذا العلم الأرضي الباهر ، ولم يبتدع إلى جنبه خلقاً سماوياً ساطعاً .

لهذا أمكن جيش الشياطين والأبالسة أن يغزو ملكوت الإنسان ويفتحه ويستتب فيه ويملكه . فليس الذنب ذنب العلم ، بل هو ذنب النفس الأمارة بالسوء ، أصلح النفس وطهرها فيطهر العلم من عوامل الشر ويعمل للخير وحده . ما ذا كان نصيب الشرق من هذه المعمعة التي التحم فيها العقل المبدع والنفس الأمارة بالسوء .

كان أن الشرق سرق من فردوس الغرب بعض ثمار علمه وشاركه بالتمتع بها ولكنه لم يشاركه في فلاحة ذلك الفردوس وزراعته . على أنه لما جاء دور التدمير أصاب الشرق ما أصاب الغرب من ويلات التدمير . وأقل ما مني به الشرق أنه ازداد عبودية للغرب في السياسة والاقتصاد وغيرهما ، وبالتالي أصبحت سعادته الحيوية متوقفة على الفضلة الفاضلة من سعادة الغرب . وهذا الفقر في السعادة جزاء ذلك الفقر في العلم . وكيف يمكن أن تغتني بالسعادة ونحن لم نشترك مع الغرب في تحصيلها بل نسرق فضلاتها منه ؟

لا يمكن أن نرفع عن رقابنا نير العبودية للغرب إذ لم نباره في العلم العملي والاختراع والاصطناع . لو كان لنا علم وقوة اختراع وأمكننا أن نخترع الطيارة واللاسلكي والبارجة والغوّاصة ، إلى غير ذلك مما لا يحصى من الاختراعات لاستحال على الغرب أن يستعبدنا وأن يبتز ثروتنا وأن يزعزع كياننا وأن ينغص عيشنا .

أخذنا العلم الحديث عن الغرب فلاحرج ، ولا عيب أن نقتبس العلم منه . الغرب اقتبس قبلنا من الشرق . ولكن أية فائدة عمرانية استفدنا من هذا العلم ؟ هل استفدنا منه أن نخلص من الاتكال على الغرب ؟ هل استطعنا أن نستقل عمرانيًّا أو اقتصادياً على الأقل؟

منذ بنى خزّان أسوان إلى اليوم ونحن نتحدث عن توليد الكهرباء منه . واصطناع السماد بواسطتها فلماذا لم نولّدها ؟ — ليس ذلك لأنه لا يوجد عندنا رأس المال اللازم لهذا العمل العظيم ، ولا لأن الحكومة عاجزة عن تقديم المال ، ولكن ليس عندنا مهندسون كهربائيون يجرؤون أن يقدموا على هذا العمل أو يوثق بكفايتهم . وليس عندنا الآلات والأدوات اللازمة لهذا العمل ولا مصانع لها عندنا . ولذلك نعرض الشروع على المهندسين الأجانب مضطرين . فإذا لم يتفق الأجانب معنا على هذا الشروع لا يتكهرب خزان أسوان . وقس عليه كثيراً من المشروعات الاقتصادية العمرانية الكبيرة التي نحن محرومون منها لقصور فينا . إذاً فما ذا استفدنا من العلم الذي اقتبسناه ؟ ما استفدنا إلا أن شبابنا حصلوا على بعض الثقافات الفنية العملية التي تمكنهم من الارتزاق

فقط . ولكن بعد الحصول على وسائل الاسترزاق لم يستمر المثقفون فى طلب المزيد من العلم بعد الحصول على الدبلوم التى توصل إلى حرف الارتزاق . فلما نرى مثقفاً يستمر فى الدراسة بغية الاستزادة من المعرفة ، ولا نرى مثقفاً قصد البحث فى العلم بغية اكتشاف نظرية علمية أو استخراج حقيقة جديدة . والأرجح أن معظم الذين تخرجوا وغنموا الشهادات التى تخولهم حق العمل لم يعودوا يفتحون كتاباً لترويض عقولهم وتوسيع معارفهم لكى تحفز أذهانهم للبحث والتفكير والاستنباط .

أكسلا كان هذا الإهمال أم عجزاً أم ضعفاً عقليا ام قلة ثقة بالنفس وتمادياً فى الاتكال على الغرب ؟

فلقلة اكتراث المثقفين بالمطالعة لا نرى فى مطبوعاتنا اليومية إلا النزر اليسير من المؤلفات العلمية المفيدة التى تحتوى على كل ما استجد من الحقائق العلمية ، وكل يوم تظهر معلومات جديدة فى العلم . ولكن الذين كانوا فى معاهد العلم قبل ظهورها لم يقفوا عليها لأنهم لم يجدوها فى مطبوعاتنا الجديدة . وإذن فكأنهم لم يثقفوا الثقافة التامة .

لا نرى من المطبوعات الجديدة عندنا واحداً فى المائة حتى ولا واحدا فى الخمسمائة من المؤلفات العلمية التى تلم بكل جديد من العلم . لا نرى إلا مئات المؤلفات فى الأدب والقصص واللغة والتاريخ الخ . ولكن بكل أسف لا تقوم المدنية على الأدب . ولولا ما نقتبسه من علم الغرب لكنا بلا مدنية عصرية تجارى بها العالم .

الأدب ليس قوام المدنية وإنما هو حلية لها . فاذا كانت المدنية مزينة بأجل الحلى وأثمن الجواهر ولكن على بدنها أطمار الجهل العلمى فهل نقول إنها حسناء رائعة الجمال ؟

وكيف تحيا وتترعرع وهى بدن سقيم وجسم ضعيف . وكيف يبدو جمالها وهى لاقلب ولاروح . ليس بالقصائد والقصص وروائع الأدب اخترعت الطيارة والسيارة واللاسلكى والسينما والمطبعة إلى غير ذلك من ألوف الاختراعات التى يتمتع بها البشر الآن . الأدب وحده لا يبنى مدنية أو عمراناً بل هو ثانوى فى بناء العمران وإنشاء المدنية .

بكل أسف نقول إن الأدب طغى عندنا على العلم حتى كاد يختفى هذا وراء الغيوم ، ولم يعد المثقف وقليل الثقافة يرى فى سوق الطباعة إلا قليلاً من الأدب الجيل وكثيراً من الأدب السخيف . فكيف يمكن أن تكون لنا مدنية ذاتية خاصة بنا وغير مستعارة وغير مزيفة ؟

لسنا فقراء فى رجال العلم . ولكننا فقراء فى قراء العلم حتى من المثقفين ، وأغنياء بقراء الأدب الفكاهى وبقليل من الأدب الراقى الصافى . ولذلك قلَّ الذين يؤلفون فى العلم ويقدمون لنا ثمرات العلم الحديث .

لولا بعض المجلات التى تعنى قليلاً بطرائف العلم الحديث ، ولولا بعض المؤلفين الذين أغرموا بالمطالعة والتأليف والنشر لكان عندنا قحط علمى يعنون مدنية زائفة .

حبذا لو أمكن إحصاء اقبال القراء على المؤلفات العلمية ذات القيمة لكى نعلم هل نحن جادون فى التقدم العلمى ، وأن هذا التقدم يبشرنا بأننا مقبلون على مساهمة الغربيين فى الانتاج العلمى والاختراع والاكتشاف لكى نستبشر بالاستقلال العمرانى الحقيقى وعدم الاضطرار إلى الاتكال على الغرب فى بنيان مدنيتنا . إذا عرفنا أن للمؤلفات العلمية ونحوها إقبالاً من القراء كبيراً عرفنا أننا نبنى عمراننا وليس الغربيون يشيدونه . هل يا ترى من وسيلة لهذا الاحصاء لكى نعلم فى أية درجة نحن من التقدم العلمى ؟

نقولا الحداد

الأفغانى والوحدة الإسلامية

للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

— ٣ —

ماذا كان يرجو السيد الأفغانى من وراء الوحدة ؟ وماذا كان يعلق عليها من الآمال والأغراض ؟ ويحدد لها من الأهداف والغايات ؟

لقد كان الرجل يقف من ذلك بادىء الأمر عند مسألة المسائل ، فكان كل مايرجو أن تكون الوحدة قوة دفاعية تقف فى وجه الاستعمار ، وتقوم « سداً يحول عن المسلمين السيول المتدفقة عليهم من كل جانب » ، ومعنى هذا أنه كان يرجو من الوحدة أن تكون وقاية وحماية ، هدفها الوقوف فى وجه الخطر وكفى ، ولكنا نراه بعد ذلك يتوسع فى الأمل ، ويتفسح فى الغاية ، إذ يقرن « بالميل إلى وحدة تجمع ، الكلف بسيادة لاتوضع !! » ، ويطمع أن يرى المسلمين « تتلاقى هممهم ، وتتلاحق عزائمهم فى سبيل الطلب ، فيندفعون للتغلب على الذين يلوحهم ، كما تندفع السيول على الوهاد ، وألا تقف حركتهم دون الغاية مما نهضوا اليه .. !!

وكأن الرجل قد رأى نفسه فى القمة من الرأى والقوم لايزالون يدرجون عند السفح ، وكأنه أدرك أنه بلغ فى التوسع بالأمل مبلغاً تتعاظمه النفوس ، وتستهوله العزائم ، فأخذ يتلمس كل وجه من وجوه التدليل على مايجب من الحماسة لهذه الغاية الضرورية ، وراح يبذل كل ما فى وسعه من اللباقة والزلاقة ليصل بهذا الرأى إلى أطواء القلوب ومكامن العقيدة ، فنراه يقرر أن الوحدة والسيادة « أمران خطيران ، تحمل عليهما الضرورة تارة ، ويهدى إليهما الدين تارة أخرى ، وكل منهما يطلب الآخر ويستصحبه ، بل يستلزمه » ، وبعد أن يتمشى الأفغانى فى شرح هذا الاستلزام من الناحية النظرية ، يجنح فى الاستدلال إلى مايدل عليه « تصفح تاريخ الأجناس ، واستقراء أحوال الشعوب فى وجودها وفنائها ، وما درجت عليه سنة الله فى الجمعيات البشرية ، من جعل حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة ، ومبلغها من العظمة على حسب تطاولها فى الغلب .. ! ! » ، ثم ينتهى فى أسلوبه هذا إلى الوتر الحساس ، وتر الدين المشدود بالقلوب ، فيقرر « أن الوفاق والغلب ركنان شديدان من أركان الديانة الإسلامية ، وفرضان محتومان على من يستمسك بهما ، فمن خالف أمر الله فيما فرض منهما عوقب من مقته بالخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .. !! » ، ولكنه لايخلص من هذه النتيجة إلا بعد أن يدعمها بكثير من آيات التنزيل ومأثور السنة ومواقف الإسلام..

فما هذا ؟ أهى أحلام المجد ، ونعرات مثالية كانت تملأ رأس الرجل وتفعم وجدانه ؟ أم هى دعوة إلى الممكن يؤدى إليها الامكان ويحتملها الجهد ؟! يبدو لنا أن الأفغانى وضع أمامه صورة الأمبراطورية الإسلامية فى عصرها الزاهر ، وسلطانها الغالب ، وأخذ يرسم للمسلمين صورة مماثلة لها ويضعها أمامهم الغاية الرشيدة التى يجب عليهم بلوغها والأخذ بأسبابها ، فكان صنيعه هذا كصنيع الحكماء فيما تصوروه فى قيام « المدينة الفاضلة » ، كل ماعندهم أن يصح الرأى فى أذهانهم ولا شأن لهم إذا لم يصح فى عالم الواقع الذى عليه الناس ، وهكذا راح الرجل يموج فى أمل طويل عريض ، ويقف بالرأى عند غاية تحتاج فى إدراكها إلى رجال وجبال كما يقولون ، وفاته أنه كان يهز جسماً فقد حيويته ، وينادى على عالم ضاعت معالمه ، فليس هذا مما يكفى فى إيقاظه ، ولكنه كان يحتاج إلى بعث جديد ، وخلق من طراز آخر .

فالأفغانى لم يكن فى أمله هذا بالرجل السياسى الذى يرسم طريق الخلاص على ماتسمح به الظروف والملابسات ، وما يمكن أن يكون فى عالم الواقع الماثل بما يصح أن تبلغه الجهود ويؤدى إليه الاستعداد ، ولكنه كان ينزع نزعة مثالية يضع بها الأمل فوق العزم ، وينتهى فيها إلى غاية أكبر من الجهد ، وهل كان من الممكن أو من المعقول أن ينهض العالم الإسلامى الذى فرقه الاستعمار ، وقتله الجمود ، وفقد كل عدة مادية ، وقوة معنوية ، فيقف بين عشية وضحاها جبهة مدافعة ، وقوة متسلطة ، أمام الغرب الطاغى ، والاستعمار الزاحف بما لامثيل له فى التاريخ من أساليب السياسة والفكر ، وأفانين العدة والذخر ، فياليت شعرى ، ألم ير الأفغانى ، وهو الذى طوّف بكثير من أنحاء الدنيا

كيف كان الغرب يسير بالبخار وبالكهرباء على حين كان الشرق فى ذلك الوقت لايزال يركب الجمل ؟ ! .

إنها فى الواقع حقيقة لم تنب عن فطنة الأفغانى ، ولم تغرب عن إدراكه النافذ ، فعلى الرغم من أنه كان يثق ثقة كبيرة بالقيمة العددية واحتشاد الجموع ، فأنه لم يقف بأمله عند تحقق الوحدة وجمع الكلمة ، بل أخذ يدعو إلى الإستعداد المادى « واكتناه أسباب تقدم الغرب والوقوف على تفوقه وقدرته » ، وإنه ليضرب للمسلمين المثل فى ذلك بأمة الروس ، وهى كما كانت « أمة متأخرة فى الفنون والصنائع عن سائر أمم أوروبا ، وليس فى ممالكها ينابيع للثروة ، ولكن كانت ، فليس هناك مايستفيضها من الأعمال الصناعية ، فهى مصابة بالحاجة والفاقة والعوز ، غير أن تنبيه أفكار آحادها لما به يكون الدفاع عن أمتهم ، واتفاقهم على النهوض به ، وارتباط قلوبهم صير لها دولة تميد لسطواتها رواسى أوروبا . لم يكن للروسيا مصانع لعظم الآلات الحربية ولكن لم يمنعها ذلك عن اقتنائها ، ولم يرتق فيها الفن العسكرى إلى ما عليه جيرانها ، إلا أن هذا لم يقعد بها عن جلب ضباط من الأمم الأخرى لتعليم عساكرها حتى صار لجيشها صولة تخيف ، وحملة تخشاها دول أوربا .. »

وهذا صحيح ، صحيح فى عالم المعقول ، وفى عالم الإمكان ، وهنا يسير الأفغانى بأمله فى الوحدة إلى طريق عملى ، ويهدى إلى أسلوب واقعى ، كان من الضرورى أن يكون فى إدراك الغاية ، وبلوغ الهدف ، وهو الذى كان فعلا فيما أخذت به الأمم الإسلامية فى نهوضها وفى توثبها إلى حياة العزة والحرية ، وما من شك فى أن الأفغانى كان يعلم أن هذا الطريق يستغرق فى اجتيازه مسافة من السنين والأعوام ، وأنه لايؤدى إلى نتيجة عاجلة يستطيع العالم الإسلامى بلوغها فى أيام ، ولكنه على الرغم من ذلك كان ينادى ويهيب ويتعجل الغاية ويطمع أن يرى القوم عندها بين طرفة عين وانتباهتها ، وهنا يبدو الأفغانى مرة أخرى مسرفاً فى الأمل ، مغرقاً فى الرجاء .

إن بناء الأمم والشعوب يتمشى مع الزمن وتطور الأيام ، ولن تستطيع دعوة من دعوات الإصلاح أن تؤتى ثمرها وأن تتحقق النتيجة من ورائها إلا إذا نضجت واستوت وأشربتها النفوس والقلوب عقيدة راسخة ثابتة ، فالمبادىء التى نادت بها الثورة الفرنسية لم تستطع القوة أن تحققها طفرة ، ولم تقدر المقصلة أن تفرضها رغباً ورهبة ، ذلك لأن الزمن لم يكن قد أنضج تلك المبادىء بعد ، فشبت الثورة واستطار لهيبها فى أرجاء العالم ، ثم همدت وماتت وقد خلفت من ورائها تلك المبادىء يحققها الزمن بما فى قدرته على الإنضاج والتسوية ، ولا يزال الزمن يجد فى تحقيقها إلى اليوم . وكذلك كانت الثورة العرابية ، تلك الثورة التى قامت كما نعلم تروم خطة واسعة وغاية كبيرة كانت لا تزال نجوى فى المجال الفكرى والعقلى عند القادة ، ولم تكن قد انحدرت بعد إلى قلب الشعب فى مكان العقيدة ، ولهذا فشلت الثورة بها فجأة كما قامت فجأة ، وانتهت على أهون مايكون كما ابتدأت بأهون مايكون . ولو أن الشعب كان يضم جوانحه على ماتنادى به الثورة من المبادىء والأغراض ، وما تهدف إليه من المطامح والغايات ، لما أفلحت الدسيسة فى خذلانه ، ولا وجدت الخيانة مكانا بين صفوفه ، ولما سلم فى الجولة الأولى وجعلها بداية النهاية .

فما نحسب أن الأفغانى كان يخفى عليه إدراك هذه الحقيقة ، ولكنه كان ينظر إلى طغيان الاستعمار على الشرق وإلى المطامع التى أنشبت أظفارها بعنقه ، فكان يفزع لسوء المغبة ، ويجزع من التراخى أمام الكارثة ، ويصرخ بدعوته إلى رأب الصدع وحشد الجهود وفى الأمل بقية . وإن من الظلم للتاريخ وللرجل أن نتهمه بالفشل وأن نصف مسعاه بالخيبة ، فحسبه نجاحا أنه رسم الطريق ، وهيأ الأذهان ، وأقام فكرته عقيدة كان لها أكبر الأثر فى توجيه الشرق الإسلامى إلى مجالى النهوض والتجمع ، وإن ماوصلنا إليه من وضع فى الوحدة ثمرة من ثمرات ذلك الرجل العظيم .

لقد أيقظت دعوة الأفغانى الشرق ، كما أفزعت الغرب ، وعلى الرغم من أن الرجل كان يبذر آراءه فى تربة غير صالحة من طول ما تراكم عليها من صدأ الجهل واستبداد الظلم ويأس الخنوع ، فقد استطاع لصدق غيرته وشدة نخوته وقوة شخصيته أن يصل بها إلى قرارة النفوس والقلوب ، وأن يحشد لها جهود الغيورين ، وأن يقيم لها دعامة قوية من التلاميذ والمريدين ، وبهذا أصبحت تياراً

فكريا مضاداً لأطماع الاستعمار الأوروبي من جهة ولمفاسد الاستبداد العثماني من جهة اخرى ، ولم يكن الاستعمار الأوروبي الطامع يجهل خطر هذه الدعوة عليه إذا ما نجحت ، ولم تكن تركيا دولة الخلافة والرئاسة تنظر إليها إلا بعين الشك والريبة ، بل كانت تراها فكرة هدامة ، ودعوة إلى التمرد على « الاسلامية » التي تمثلها الخلافة ، فكان من الطبيعي أن يكون الأفغاني ومريدوه والمتشيعون له هدفاً للمناهضة والتنديد والاتهام . وكان أول تهمة ألقيت على الأفغاني وأتباعه في دعوتهم أنهم دعاة عصبية وتعصب . وقيل يومذاك إنهم يريدون النهوض بالمسلمين على حساب الطوائف الأخرى التي تقطن البلاد الإسلامية ، وارتفعت صيحات كثيرة تندد بالتعصب وبالمسلمين « الجامدين » الذين يدعون إلى العصبية . ارتفعت هذه الصيحات من جانب الغرب وفي وسط الشرق الاسلامي نفسه ، وكان لها أثر ملموس في مناهضة الوحدة على الوضع الذي كان يريده الأفغاني ، وإنها لتهمة مفرضة ينكرها الرجل كما ينكر دعاتها ، ولهذا اضطر الرجل أن يرسل هذه الصيحة للتحذير والتنبيه في العدد الثامن من مجلة العروة الوثقى إذ يقول : « لا يظنن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر أحياناً ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم في أوطانهم ، ويتفق معهم في مصالح بلادهم ، ويشاركهم المنافع من أجيال طويلة ، فليس هذا من شأننا ولا مما نميل إليه ، ولا يبيحه ديننا ولا تسمح به شريعتنا ، ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الأجانب عليهم ، والأفساد في بلادهم ، وقد نخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب في الأقطار التي غدر بها الأجانب ، واستأثروا بخيراتها ، وأذلوا أهلها أجمعين ... »

فالأفغاني لم يكن داعية تعصب ديني بالمعنى المفهوم في الغرب ، ولم يكن داعية تعصب جنسي يقف عند صلات الدم ، ولكنه كان ينادي في ذلك بروح الإسلام السمحة ، وقد لبث هو وتلاميذه يصولون في مجالس الدعوة بهذه الروح وفي هذا الاتجاه ، وإذا كانوا في كتاباتهم قد دعوا إلى العصبية ، فانما هي العصبية للنهوض والأخذ بأسباب التقدم ، ولو أننا رجعنا إلى كتاباتهم لرأيناهم يستعملون العربية والشرقية مرادفة للاسلامية ، وإنما دعا الأفغاني وأتباعه إلى الوحدة باسم الإسلام لتكون أعم وأشمل ، وليدخل في حسابها أمم إسلامية لا تمت إلى العربية ولكن لابد من ضمها إلى الوحدة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان « الإسلامية » كانت كما يقول بعض الكتاب : « رمزاً لروح خاص ، وعقلية خاصة ، وحضارة خاصة أيضاً » ، وقد كانت الرباط المتين الذي ربط أجزاء الأمبراطورية العربية على طولها وامتدادها في أفريقية وآسيا وأوروبا ، وقد كانت تركيا نفسها تحكم هذه الشعوب وتبسط سلطانها على جميع الطوائف في الشرق باسم الاسلام وحمل لواء الخلافة الاسلامية .

والواقع أن الأفغاني لم يكن واهماً في اختيار العامل الديني للوحدة وجمع الكلمة ، فقد ظل هذا العامل يكيف التفكير الاجتماعي والاتجاه العمراني في الشرق آمادا طويلة وقرونا متعاقبة ، ولم يكن لعامل من العوامل في تحريك الوجدانات والعواطف وسحر العقول والقلوب مثل ما كان لذلك العامل العريق الذي صنعه الزمن وقواه التاريخ وأرسخته المشاعر المستغرقة ، فكان اختيار الأفغاني اختيارا طبيعياً ضرورياً لاغبار عليه ولامناص منه ، لأنه أمسك برابطة قوية متينة لا تقوى عليها إلا رابطة راسخة تسندها قوة دافعة ، ولو أن الرجل تنكب هذا الطريق ونظر إلى الاعتبار السياسي بعيدا عن هذه الرابطة لما صنع شيئاً ، ولضاعت صرخته في واد .

(للكلام صلة) **محمد فهمي عبد اللطيف**

صوت من العالم الآخر

للأستاذ نجيب محفوظ

— ٢ —

غمرني شعور عجيب بأني فارقت الحياة، وأني لم أعد من أهل الدنيا، ماذا حدث؟! وما الذي تغير فيَّ؟! مازلت في الحجرة. والحجرة كما كانت، فأمي وزوجي تحنوان على جسمي، ولكن حدث شيء بلاريب، بل أخطر الأشياء جميعاً. لم أوخذ على غرة. ولو كان بي قدرة على الكلام لأجبت زوجي — حين سألتني «توتي ... ماذا تجد؟» بأني أموت. ولكني فقدت قدرتي على الكلام وغيره. فلم أوخذ على غرة كما قلت، وشعرت بزورة الموت كما يشعر المضطجع بدبيب الكرى وتخدير النعاس. ثم رأيته جهرة. والذي لاشك فيه أن الموت ليس مؤلما ولا مفزعا كما يتوهم البشر، ولو عرف حقيقته الحيّ لنشده كما ينشد نشوة الخمر المعتقة، وفضلا عن هذا وذاك فلا يخامر المحتضر أسف ولا حزن بل الحياة تبدو شيئاً تافها حقيراً إذا ما تخايل في الأفق ذاك النور الآلهي البهيج. كنت مكبلا بالاغلال فانفكت أغلالي. كنت حبيساً في قمقم فانطلق سراحي. كنت ثقيلا مشدوداً إلى الأرض فخلصت من ثقلي وأرسلت وثاقي. كنت محدوداً فصرت بغير حدود. كنت حواسَّ قصيرة المدى فانقلبت حسا شاملا كله بصر وكله سمع وكله عقل، فاستطعت أن أدرك في وقت واحد ما فوقي وما تحتي وما يحيط بي، كأنما هجرت الجسم الراقد أمامي لأتخذ من الكون جميعاً جسماً جديداً. حدث هذا التغيير الشامل الذى يجل عن الوصف في لحظة من الزمان، بيد أني ما برحت أشعر بأني لم أغادر الحجرة التي شهدت أسعد أيام حياتي السابقة. كأن العناية وكلتني بجسمي القديم حتى ينتهي إلى مستقره الأخير، فجعلت أتأمل ما حولي في سكون وعدم اكتراث. وقد غشي جو الحجرة حزن وكآبة، وأخذت أمي وزوجي تتعاونان على إنامة جسمي على الفراش، ثم قبلت زوجي جبيني. ولثمت أمي قدمي، ونادتا أبنائي والخدم. وراحوا جميعاً يعولون وينتحبون، رأيت جسمي — صاحبي القديم — بملامحه المعهودة راقداً لا حراك به، وقد ابيض لونه وشابته زرقة وتراخت أعضاؤه وأطبق جفناه، ومضى الحاضرون يسكبون عليه الدمع الغزير يكادون يهلكون كمداً وحزناً وغما. ومضيت أنظر اليهم بعدم اكتراث غريب كأنه لم تربطني بهم يوما آصرة قربى! ما هذا الجسم الميت! لماذا تصرخ هذه المخلوقات؟ ما هذا الأسى الذى جعل من سحنهم دمامة شوهاء! كلا لم أعد من أهل هذه الدنيا، ولم يردني إليها صراخ أو بكاء، ووددت لو تنقطع أسبابي بها لألحق في عالمي الجديد. ولكن وا أسفاه، إن بقية من حريتي لم تزل عزيزة عليّ، أسيرة إلى حين. فلآخذ نفسي بالصبر وإن شق عليّ. وجاءت أمي بملاءة وسجت الجثة، ثم أخرجت العيال والخدم، وأخذت زوجي من يدها، وغادرتا الحجرة، وأغلقتا الباب. لم يغيبا عن ناظري لأن الجدران لم تعد حائلا يحجب شيئاً عن بصري، فرأيتهما وهما تغيران ملابسهما وترتديان السواد، ثم اتجهتا نحو فناء الدار وهما تحلان من ضفائرهما وتحثوان التراب على رأسيهما، وخلعتا النعال وهرعتا إلى باب الدار، وانطلقتا تصوتان وتلدمان، ومضت أمي تصرخ «وا إبناه» فتصرخ زوجي «وا زوجاه» ثم تهتفان معا «يا رحمتا لك يا توتي المسكين! خطفك الموت ولم يرحم شبابك» وتركتا الدار على تلك الحال من العويل والنواح، وأخذتا في طريقهما، حتى إذا مرتا بأول دار تليهما برزت لهما ربة الدار في ارتياع وصاحت بهما: «ما لكما يا أختاي!» فأجابت المرأتان «خربت الدار، وتيتم الصغار، وثكلت الأم، وترملت الزوج، يا رحمة لك يا توتي!» فصوتت المرأة من أعماق صدرها وصاحت «واحر قلباه ... يا خسارة الشباب ... يا ضيعة الآمال ...» وتبعت المرأتين وهي تحثو التراب على رأسها وتلطم خديها، وكلما مررن بدار برزت ربتها وانضمت إليهن، حتى انتظم الحشد نساء القرية جميعاً، وتقدمتهن امرأة دربة بالنياحة، فجعلت تردد اسمي وتعدد فضائلي، وذهبن يقطعن طرقات القرية باعثات الحزن والأسى في كل مكان. هذا اسمي تردده النائحات، ما له لا يحركني؟!

أجل، لقد صار الاسم غريباً غرابة هذه الجثة المسجاة، وبت أتساءل: متى ينتهي هذا كله؟ متى ينتهي هذا كله؟! وعند ما

أتى المساء جاء الرجال وحملوا الجثة إلى بيت التحنيط والصراخ يطبق علينا ، ووضعوها على السرير بالحجرة المقدسة . كانت الحجرة مستطيلة ذات اتساع كبير ، وليس بها من نافذة إلا كوة تتوسط السقف ، وفي الصدر قام السرير ، وعلى الجانبين رفعت رفوف رصت عليها أدوات الكيمياء ، وفي الوسط — تحت الكوة — حوض كبير ملىء بالسائل العجيب ، وخرج الرجال فلم يبق إلا رجلان ، وكان الرجلان حكيمين من المشهود لهما في فنهما ، فأخذا في عملهما دون إبطاء ، وقد جاء أحدهما بطست ، ووضعه على كثب من السرير ، ثم تعاونا معاً على تجريد الجثة من ملابسها حتى بدت عارية لا يحجبها شيء . فعلا ذلك في هدوء وعدم اكتراث ، ثم قال الذى جاء بالطست وهو يغمز عضلات صدرى وذراعى : « كان رجلا قوياً ... انظر ! » ؛ فقال الآخر : « كان توتى من رجال الأمير ، يؤاكله ويشاربه ، وفضلا عن ذلك ، فقد خاض غمار الحروب ! » ؛ فقال الذى جاء بالطست متحسراً : « لو أن الأجسام تعار ! » ؛ فأجابه الآخر ضاحكا : « أيها العجوز ، ما جدوى جسد ميت ؟ ! » ؛ فقال وهو يهز رأسه : « كان قوياً حقاً ! » ؛ فقال الآخر ضاحكا وهو يتناول خنجراً طويلا حاداً من أحد الرفوف : « فلنختبر قوته ! » وطعن الجانب الأيسر فيما يلى الصدر بخنجره ، حتى غاب نصله ، وشقه حتى أعلى الفخذ ، وأعمل في الداخل يده بمهارة ودربة ، ثم استخرج الأمعاء والمعدة ، وأودعها الطست ، وقفاها بالكبد والقلب ، فسرعان ما رأيت باطنى جميعاً ، ولم يستغرق ذلك إلا دقائق معدودة ، فالرجل من مهرة المُحَنِّطين الذين أتقنوا عملهم أيما إتقان ، ورحت أنظر إلى باطنى بعناية ، وبخاصة إلى معدتى التى عرفت بقوتها ونشاطها ، ولم يحل غلافها دون رؤية ما بداخلها بفضل تلك القوة السحرية التى اكتسبها بصرى ، فرأيت فيها مضغ الأوزة والتين وبقايا النبيذ التى تناولتها على مائدة الأمير مساء الأمس ، وذكرت قوله حين عزم علىّ بالطعام « كل يا توتى واشرب ، وتمتع بالحياة أيها الرجل الأمين ! » ... رأيت وذكرت دون أن يعرونى أى تأثر أو انفعال ، ودون أن يزايلنى عدم الاكتراث العجيب ، ثم حولت بصرى إلى قلبى فرأيت عالما حافلا بالعجائب . رأيت بشغافه آثار الحب والحزن والسرور والغضب ، وصور الأحبة والرفاق والأعداء ، وقد ترك الهيام بالمجد به فجوة عمقها ما خضت من معارك في بلاد زاهى والنوبة ، ولاحت على رقعته مشاهد مروعة لميادين القتال ، وأجزاء ملتهبة دامية من أثر ذلك الطمع العنيف الذى بعثنى للكفاح بلا رحمة حتى ضممت إلى أرض أسرتى قطعة أرض تجاورها نازعنى عليها جار بضع سنين . ورأيت فيه جل حياتى وما عانيت من الاهواء ، أما الرجل فمضى في عمله يحدوه الهدوء والمران ، فأتى بكلاّب دقيق وأولجه في أنفى باحتراس حتى تمكن من هدفه ، ثم وجهه بدراية وعنف وجذبه بسرعة ، فسال مخى الكبير من منخرى مادة رخوة تدرو في الهواء ماتجمع فيها من لوامع الفكر ولآلىء الآمال ودخان الأحلام . هذه أفكارى منقوشة أمام عينى ، فاذا قارنتها بنور الحق الذى يتخايل لروحى بدت تافهة مشوهة ، لقد قاتلها المثوى الذى آوت إليه : رأسى ومخى ، ها أنذا أقرأ القصيدة التى صنعتها في وصف قادش! وهاهى ذى الخطب التى ألقيتها بين يدى الأمير في المناسبات المختلفة ، وهذه آرائى في آداب السلوك ، وهذه الحكم الذى حفظتها عن حقائق النجوم كما جاءت في كتب قاتمنا ! كل أولئك أزاحه الرجل مع فتات المخ فاستقر بين الأمعاء والمعدة في الطست الدامى ، غير ما تناثر على الأرض فداسته الأقدام . قال الحكيم وهو يعيد الكلاّب إلى موضعه « الآن صارت الجثة نظيفة ! » فقال صاحبه ضاحكا « ليتك تجد بعد موتك يداً ماهرة كيدك ! » وحمل الحكيمان ما تبقى من جسمى إلى الحوض الكبير ، وأناماه فيه ، فامتلأ بالسائل الساحر وغرق فيه ، ثم غسلا أيديهما وغادرا المكان ، وقد أدركت أن الحجرة لن يعاد فتحها قبل كرور سبعين يوماً — مدة التحنيط — فمسنى الجزع ، ووقع في نفسى خاطر أن أنطلق بروحى إلى العالم لألقى عليه نظرة الوداع ...

(للقصة بقية) **نجيب محفوظ**

سياسة التعليم ووحدة الامة

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

- ٣ -

تم والحمد لله ميثاق الجامعة العربية العتيد بعد أن وافقت عليه المجالس النيابيــة فى البلاد الدستورية والحكومات فى البــلاد الأخرى، فعمّ الابتهاج وشمل السرور بذلك نفوس أبناء العرب جميعاً

ولقد اقترح بعض المتحمسين جعل يوم توقيع هذا الميثاق وإعلانه عيداً قومياً عربياً تحتفل به هذه الدول فى كل عام تقديراً لهذه الوحدة وتذكيراً . وحق لهم أن يقترحوا ذلك وأن يدعونا اليه وإنا لنشاركهم فى هذه الدعوة . فهو عيد وأى عيد . قال عنه عزيز مصر ومليكها المفدى إنه أسعد يوم فى حياته . وكيف لا نسعد به جميعاً وهو اليوم الذى وُضع فيه الحجر الأساسى فى إعادة بناء مجد الأمة العربية التليد ، فجمل وحدتها فى تعاونها وتناصرها أمراً واقعاً وسياسة عملية محققة تضم شتاتها وتجمع وحدتها وتؤلف بين قلوبها وتقوى أواصر المودة والأخاء بين أبنائها . وقد أصبح من آمالها القريبة المنال إن شاء الله توحيد تشريعاتها وقوانينها بحيث تستقى جميعاً من منبع واحد وتنهل من معين واحد وترجع كلها إلى أصل واحد وتدور حول محور واحد هو ملتقى آمالها وجامع عناصر قوتها ووحدتها فتصبح بذلك أمة موحدة إسما ومعنى ، تسير بمختلف فروعها إلى غايات نبيلة واحدة وأهداف سامية واحدة مشتركة . وإن أهم ما يحقق تلك الوحدة ويجمع فلولها ويقوّى أواصرها لهو توحيد الثقافة فيها ووضع البناء الذى بدأ يتكون من لبنات صغيرة مفككة على أساس من الرابطة القوية المتماسكة حتى لا يشذ طفل فى رجولته المستقبلة ، ولا تضل جماعة بعد ذلك اتجاهها نحو الغايات السامية والأهداف العظيمة الموحدة .

من أجل ذلك تشخص أبصارنا وأبصار رجال التربية والتعليم والثقافة فى مختلف دول الجامعة إلى وزارة المعارف المصرية التى بدأت تنظم نفسها على أسس جديدة فتية ، آملين أن تتجه فى سياستها الحديثة إلى جمع أشتات بنى العروبة فى تثقيفهم وتعليمهم وتربيتهم ، وأن تعمل جهدها على تقريب المسافات وتقليل الفروق بين مختلف الثقافات وتوحيد الاتجاهات فى الأخذ بأساليب التربية الحديثة فى مختلف معاهد العلم والتعليم فى دول هذه الجامعة الفتية . وإن خير ما تعمله فى هذا السبيل أن تبدأ بالدعوة إلى مؤتمر جامع من رجال التربية والتعليم فى مختلف دول العروبة يعقد فى مصر لتبحث فيه الأسس التى تراعى فى وضع سياسة تعليمية عامة موحدة على أساس من التفاهم والتناصر والتعاون والاتصال المستمر الدائم وتبادل المنافع والآراء العلمية بين معاهد هذه الدول الناطقة بالضاد فعسى أن يكون ذلك الخير قريباً .

لقد أحسنت هذه الوزارة فى تنظيم نفسها وفروعها على أساس ثابت من اللامركزية بعد أن طال تأرجح هذه الفكرة فيها تأرجحاً كاد يودى بها . وإن خير ما فى هذه الفكرة لهو إعطاء سلطة واسعة لنظار المدارس حتى تكون المدرسة كخلية مستقلة تنظم نفسها حسب ظروفها وبيئتها المحيطة بها وتوجه أبناءها إلى دراسة وافية لتنتفع بهم وينتفعوا بها وإلى تعرف مركز بيئتهم وأحوالها وكل ما يتصل بها وتعرف علاقاتهم باخوانهم فى الوطنية المصرية وأبناء عمومتهم فى مختلف دول الجامعة العربية ، وإلى ما تستلزمه تلك العلاقات الحديثة والقديمة من ضرورة التفاهم والتآزر والتعاون والتناصر فى سبيل العمل للخير الخاص والخير العام (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)

فإذا كانت المدرسة المصرية إلى اليوم ، لا تزال مع الأسف نواة لأخراج شعب مشتت الإتجاه متباين التفكير غير موحد الثقافة بسبب تفرع التعليم فى مدارسنا منذ البداية ، وبسبب تشتته فى المرحلتين الأوليين منه اللتين هما عماد الثقافة العامة وأساسها ، وبسبب تنوع طوائف المعلمين فى المعهد الواحــد وتنكر بعضهم لبعض وتنافر بعضهم مع بعض وعدم تعاون بعضهم مع بعض كما أسلفنا ، فقد أصبح لزاما وقد تزعمت مصر دول العروبة أن نعمل جهدنا لوضع أساس المدرسة الموحدة فى المرحلة الأولى من التعليم خاصة وفى المرحلة الثانية منه عامة ، وأن نبذل كل ما فى وسعنا لإيجاد المعلم الموحد الثقافة المستقل التفكير الحى الضمير ، ليكون دعامة قوية للأمم العربية جماء وعونا لها على توحيد ثقافتها وتكاتف أبنائها والسير بهم قدما فى صفوف متوازية إلى أهداف الجامعة وأغراض الوحدة .

نعم أصبح لزاما أن نكون المعلم تكوينا جديداً يتفق مع هذا الوضع الجديد ومقتضيات أحواله ، وأن نبصره بانبثاق هذا الفجر الجديد الذى غمرنا بضيائه ، وأن نوجهه التوجيه الملائم ليكون خير قدوة لأبنائه وخير حافز لهم على متابعة النهوض بالبناء الجديد . وإن خير مانفعل فى هذا السبيل أن نوحد معاهد تخريج معلمى التعليم العام توحيداً يضمن لأبناء الجيل المقبل فى دول الجامعة تفاهما وتناصراً وتعاوناً . وأن نبنى ضمير المعلم من جديد لا على أساس المادية الجشعة التى تتنابنا فى كل مكان فتحطم نفوسنا وتقوى سلطان الهوى فينا وتفرق جموعنا وتفكك وحدتنا وتفصم عرى محبتنا ، بل على أساس من السمو الإنسانى والتكوين الروحى الذى يقوى ضمير المعلم ويرفع من نفسيته ويحببه فى جهاده ويسعده فى شقوته ، فيقبل على التضحيات المطلوبة منه عن طيب خاطر ونفس طيبة تدفعه إلى العمل فى بناء لبناته بهمة لاتعرف الكلل وقوة لايتطرق إليها ضعف ولا ملل . ثم ينفث تلك الروح القوية العالية فى أبنائه فتشب أجسامهم تملؤها أرواح طيبة وضمائر قوية تتضافر على العمل للخير العام فى بناء صرح السلام العام .

إن العالم العربى يحق له أن يصبو إلى كل ذلك ، ويحق له أن يصبو إلى الاشتراك الفعلى مع الموكب العالمى فى بناء صرح السلام العام . وقد كان أسلافه أول المنادين « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام » فتجاوبت أصداء ذلك النداء الحار فى مشارق الأرض ومغاربها ، فكان العرب خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . لقد تخبط قادة الأمم فى هذه الأيام المريرة فى تنكب طرق السلام لما أصاب نفوسهم من الجشع المادى والشغف بالسيادة وحب الاستعمار . وإن الصوت الخافت الذى يرفعه العرب اليوم ضد ذلك لابد له من أن يستمر ، ولا بد له من أن يقوى ، ولا بد له من أن يعلو حتى يسمع الآذان الصم ! ولن ينهض بهذا العبء الثقيل الدائم ولن يضع أساسه حقا إلا المعلمون الصادقون المخلصون المتعاونون المتضامنون المتآزرون ، فاعملوا على تكوينهم ، واعملوا على الاكثار منهم ، فهم أصحاب الأثر القوى الفعال الذين لايضل سعيهم والذين قيل فيهم قول لايفهمه الفكر المادى الحديث إنهم ورثة الأنبياء .

عبد الحميد فهمى مطر

أحاديث عابرة :

التجديد في الشعر

كما يراه شاعر القطرين خليل بك مطران

في جلسة شاعرة مع شاعر القطرين خليل بك مطران — أحد الأوتار الخمسة في قيثارة الشعر العربي الحديث — كما يقول أستاذنا الزيات ، تشقق بنا القول ، وتنقل بنا الحديث في شجون من الأدب ، فأدى بنا ذلك إلى الحديث عن قديم الشعر وجديده ، وإلى الكلام عن الشعراء المجددين والمقلدين ... وكانت فرصة طيبة أن أسأل الأستاذ الجليل عن علة عدم تقدم الشعر الحديث ، وقصوره عن مجاراة الشعر العالمي في باقي اللغات ، فأخذ — حفظه الله — يتحدث في بيانه الرائع عن محاولته الأولى وإخوانه من متقدمي شعراء هذا الجيل في هذه السبيل ، قال :

ظل الشعر العربي منذ فجر حياته محدود الأغراض ، مقيد الأفق ، لم تنفسح له ميادين الخيال ، ولا مجالات التجديد ، بسبب طبيعة البيئة التي نشأ فيها ، والأرض التي درج عليها ، والغايات التي كان يهدف لها ...

وكان المبرزون من شعراء العرب ينسجون على منوال من تقدمهم من الجاهليين ، ويترسمون خطاهم ، ويسيرون على هديهم ، فلا يجتاز خيالهم وصف البيئة التي يعيشون فيها ، ولا يمتد إلى ماوراء ذلك من آفاق واسعة وأحاسيس إنسانية ، اللهم ما كانت تسبق إليه طبيعة الشاعر الفنية بين الحين والحين — على غير قصد وفي غير تعمد — في سياق قصيده ، إذ تجد البيت أو البيتين كأنما ساقهما محض المصادفة ، وإلهام الفطرة ! وكان أن حدد علماؤهم للقصيد شروطاً لا يتعداها الشاعر ولا يتخطاها ... فإن هو جاوزها عد مقصراً ، وأخذ ذلك عليه . ومن أهم هذه الشروط وحدة القافية ، وقد كان ذلك — فيما أرى — أهم عوائق نهضة الشعر ، وبخاصة في عصرنا الحديث الذي تنوعت فيه ألوان الحضارة ، وتغيرت فيه أهداف الشعر ومقاصده ، وأضحت له أغراض غير التي كانت له بالأمس ؛ فلم يعد لشعر المناسبات تلك الأهمية التي كانت له ، ولا لوصف البيئة التي يعيش فيها الشاعر ولا راحلته ولا دياره ما كان لها من روعة وبهاء .

وقد دفعني ذلك كله منذ بدأت أحاول الشعر إلى أن أنهج به منهجاً آخر يجاري ما نحن فيه من حياة ، ويتمشى وتلك الحضارة التي يدفع بها إلينا الغرب ونتلقاها نحن عنه ، سواء في الثقافة وتنوع أغراضها ، أو الاجتماع وتعدد مراميه ؛ وكان أن أخذت أنقل إلى العربية آثار كبار شعراء الغرب وأدبائه من أمثال شكسبير وكورني وراسين وفيكتور هوجو ، وألفريد دي موسيه وغيرهم من الانجليز والفرنسيين ، متوخياً أن تكون نماذج أدبية سواء في روعة أخيلتها ، أو تعدد مقاصدها ، أو سعة أفقها ، أو ما تحمله في طواياها من جدة المعنى وروعة اللفظ وبراعة الأداء .

ثم حاولت أن أقحم في الشعر العربي نظم «الملحمة» وما كان له أن يدخل في هذا الفن إلا إذا تحلل من وحدة الروى ، ولكنني أردت بتجربة منظومة أن أبين نهاية ما يستطاع بالروى الواحد ، فأنشأت على سبيل المثال قصيدة « نيرون » في نحو من أربعمائة بيت من بحر واحد وروى واحد . تخيرت لها حرف الراء حتى أبرز للقراء أقصى ما تصل إليه طاقة الناظم بالقافية الواحدة . على أن اللغة العربية تعطى في الروى الواحد ما لا تعطيه لغة أخرى بإطلاق ؛ ولكن التزامه فيها من أسباب ضعف التبسط إذا أريد القصص الطويل ، أو الوصف الدقيق بالتحليل والتفصيل ، فلهذا عمدت بما قدمته من المثال إلى أن أصور للأذهان أين موضع العجز عندنا عن مجاراة الشعر القصصي والوصفي والتحليلي عند الأمم التي لم تلتزم وحدة القافية .

وقد انتفع بمحاولاتي ومحاولات أخر من شعراء عهدي ، نفر غير قليل من شعراء هذا الجيل ، وتمسك آخرون بما ورثناه عن شعرائنا الأقدمين ؛ ومازلت أومن بصدق نظرتي في أن التزام القافية الواحدة هو الذي يقعد بالشعر العربي عن مجاراة نظيره في آداب الأمم الأخرى التي لا تلتزم قافية واحدة كما يقعد بالشاعر عن التحليق فيما يريد من آفاق بعيدة المدى ... ولن يعيب القدماء ما آثروا للشعر من النهج ، ولن ينقص من جمال ما أتوا به من الروائع ، ولكن ما لاريب فيه هو أن طبيعة الحياة قد تغيرت عما كانت عليه من قبل ، إذ تعددت مناحيها ، وتشعبت مراميها ، وتباعدت أطرافها . وما كان لنا في ظروف حياتنا وما تزودنا به حضارة العلم الحديث من وسائل شتى للعيش ، وضروب مختلفة

للترفيه ، أن نظل كآبائنا فى نطاق محدود من الخيال ووسائل الفن . ولن يتأتى لنا ـ فيما أرى ـ أن نجارى ما يتحفنا به أدباء الغرب من روائع، إلا إذا تحللنا من ذلك القيد الذى ظل الشعر العربى يرسف فيه منذ قرون طوال . ولاشك فى أن ذلك — مع المحافظة على ما امتاز به الشعر العربى من مقاطع وأوزان — يفسح لناميادين التفكير ويؤدى بنا إلى أن نستطيع الإنتاج بأنفسنا ، وتزويد الثروة الأدبية العالمية بثمرات جديدة من وحى بلادنا ، وفيض عواطفنا وأحاسيسنا ، ويومئذ نكون قد عرضنا للعالم ما تمتاز به لغتنا من جزالة وسعة ، وما يوحى به شرقنا — مهبط الأديان ومنزل الوحى — من حكمة ، وما تفيض به قلوب أبنائه من سمو فى العاطفة وعلو فى التفكير .

هذا رأى اقتبسناه من حديث للشاعر الكبير نعرضه لشعراء الشباب ، والرأى لهم الآن .

س العنانى

رثـــاء البشرى

بمناسبة مرور عام على وفاته

لشاعر القطرين خليل مطران بك

وا رحمتا لىَ من صروف زمانى   أنَّى رمت رَأَت السهامُ مكانى

إنى لأسأل والرفاق تحملوا   أتُرى يطيل عذابىَ الملوان

مَن مبلغ السلوان مقروحَ الحشا   سدت عليه مسالك السلوان

منعاك يا عبد العزيز أمضَّنى   وأضاف أشجاناً إلى أشجانى

فاجأتنى بالنأى قبل أوانه   هل حرقة كالنأى قبل أوان

أتسوء إخواناً ملكت قلوبهم   ظرفاً وكنتَ مسرَّة الأخوان

رَبَّ البيان وأنت بالغ شأوه   أعجزت بالسبق البديع بيانى

أدب يخال مطالعو آياته   أن الكلام مثالث ومثانى

فقت الذين أخذت عنهم يافعاً   وبززت من جلوا من الأقران

هـــذا بإجماع فماذا عارضت   دعوى دعىٍّ من سَنِى البرهان

لا خير فى زمن إذا ما طاولت   فيه الصِّعادُ عوالىَ المُرّانِ

أحدثتَ أسلوباً وكنت إمامَهُ   وبقيت فذاً فيه مالك ثان

جمع السهولة والجزالة لفظه   تتخالفانِ حِلًى وتأتلفان

ديباجة عربيـــة مصرية   نقشت برائعة من الألوان

مَن للنوادر تجتنى منها النهى   ما نشتهى من طيبات مجان

مَن للبوادر لا يجود بمثلها   قبل الروية أحضرُ الأذهان

مَن للدعابة وهى قد قَرَنت إلى   حلم الشيوخ فراهَةَ الشبان

إن ثقَّفَتْ لطفت وفى ضحكاتها   إيماضُ برقٍ لا انقضاضُ سنان

نُهَلٌ تساقاها القلوب فتشتفى   غِلَلٌ وتُقضَى للقلوب أمان

بَدَوات أَلْبَقِ كاتب ومحدث   صافى البداهة بارع التبيان

فى جِدِّه ومزاحه متصرفٌ   بيراعة خـــلابة ولسان

أخلا من البشرى عصر لم يكن   فيــه على ذاك المثال اثنان

شخص قليل ظِلُّه طاوى الحشى   يمشى فلا تتوازنُ الكتفان

طلقُ المحيا إذ تراه وربما   نَمَّت بكامن دائه العينان

حُبِّبَت ملامحه بسُحْنَةِ أُدْمَةٍ   هى من « يمنًا » إن شئت أو « عدنان »

وبعارضيه الهابطين وَلِمَّةٍ   شعثاء لم تُلْأَمْ من الثَّوَران

وَمَحَنِيَّةٍ يطوى عليها صدرَه   وكأنه أبداً عليها حان

من ذلك التمثال لاحت للورى   آيات أىِّ حجًى وأىِّ جَنان

حُسْنُ المنارة فى سطوع ضيائها   لا فى زخارفها ولا البنيان

أما خلائقه فقل ما شئتَ فى   جَمٍّ المروءة راسخ الإيمان

ماضاق صدراً وهو أصدق مسلم   بتخالف الآراء والأديان

نعم الفتى فى غيبة أو مشهد   نعم الفتى فى السر والإعلان

بالعدل يقضى فى الحقوق وبالندى   يقضى حقوقَ الأهل والجيران

يسعى كأدأب من سعى لِمُهِمه   مهما يجشَّم دونه ويعانى

متشمراً بغـــدوِّه ورواحه   عَجِلَ الخطى مسترسل الأردان

لو كان ما فى جِدِّه فى جَدِّه   لعلت مكانته إلى كيوان

لكنه لم يُلْفَ يوماً عاتباً   أو طالباً ما ليس فى الإمكان

ورعى حقيقة نفسه وأجلَّها   عن أن تبدل عزةً بهوان

ما منصب فوق المناصب أو غنى   فوق المطالب غاية الفنان

مهما يزاول فالكرامة عنده   هى فى إجادته وفى الإتقان

ماذا يكون سليل بيت صالح   عالى المنارة باذخ الأركان

الوالد الشيخ الرئيس وَوُلْدُه   شَرْواه فى أدب وفى عرفان

صبراً جميلاً يا أخاه وأنت مَن   بحجاه يدرك حكمة الرحمن

كم فى القضاء تلوح للفطِنِ الذى   وَلِىَ القضاء سرائرٌ ومعان

وعزاءكم يا آلهُ أن الذى   تبكونه فى نَعْمة وجِنان

وعزاءكم يا معجبين بفضله   فيما دنا ونأى من الأوطان

انتهينـــــــا . . . !

للأستاذ سيد قطب

انتهينا . قد مضى الماضى جميعاً ومضينا
انتهينا . لم نعدْ نسأل أيانَ وأينا
أو نمدّ اليوم للأحلام والأوهام عينا
انطوى الحلم الذى لاح ـ زماناً وانطوينا
ويد الدهر تمشّت تسبل الستر علينا

اضربنى فى زحمة الأرض على غير طريق
فكرةً ضلت وحلما يتوارى عن مفيق
ولقًى يقذفه الموج إلى الشط السحيق
وهوًى يخسره الفن ، على عين الصديق
وسنى يطمسه الليل إلى غير شروق

وأنا المكدود فليلقِ إلى الأرض عصاه
آنَ للمجهد أن تسكن فى الأرض خطاه
آنَ أنْ يصمت لا تهتف شوقا شفتاه
آن أن يغمض لا توقظه وهْناً رؤاه
جاوز الجهدُ قواه ، فتهاوت قدماه

طال هذا الحلم حتى صار فى النفس عيانا
ومضينا فى طريق الوهم تنساب خطانا
تهدم الأيام ما نبنى فتبنيه رؤانا !
ونخوض الشوك يدمينا فتمضى قدمانا
تتبع الوهم الذى صاغ من الشوك جنانا

يا لهذا الحلم والأيام تمضى والليالى
عابثات بالأمانى وهو يمضى لا يبالى
يغلب الواقع فى الأرض بتحليق الخيال
ويَرى خلف الروابى والصحارى طيف آل
فيرود الأفق ظمآنَ مشوقا للظلال

نشيد عسكرى

عاش الملك*

للشاعر الأستاذ محمد الأسمر

هيّا بنا إلى الأمامْ هيّا بنا ، هيّا بنا
المجدُ فى الدنيا زِحامْ فزاحموا نحوَ المُنى
واسعَوْا إلى خيرِ الوطنْ
عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ

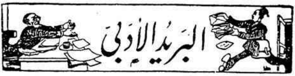
نحن الحياةُ للبلادْ ونحنُ أنصارُ العَلَمْ
إذا دعا داعى الجهادْ كُنّا بها أُسْدَ الأَجَمْ
نذودُ عن أرضِ الوطنْ
عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ

يامصرُ ياكَنْزَ الوجودْ نحنُ على الكنزِ أُسودْ
ونحنُ أشبالُ الجدودْ نبنى ونعطيكِ الخلودْ
يا مصرُ يا خيرَ وطنْ
عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ

هيّا بنــا ، هيّا بنا نبنى الخلودَ والبقاءْ
نبنى ونرفعُ البِنــا
المجدُ فى الدنيا لنــا لمّا بنى اللهُ السماءْ
بنى لنا مجدَ الوطنْ
عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ عاشَ الملكْ ، عاشَ الوطنْ

(*) غير مسموح بتلحين وغناء هذا النشيد أو بعضه إلا باذن كتابى من المؤلف .

قد مضى ، والعمر يمضى والأمانى والزمانْ
وانتهينا وصحا بعد الأوان الحالمان
عجبا ! قد كان حلمٌ ! ليت شعرى كيف كان ؟ !
العيان اليوم كالحلم وحلمى كالعيان
صمت الدهر عياء ومضى يمطو الزمان



الزار ظاهرة اجتماعية أفريقية

حاضرنا الأستاذ على أحمد عيسى ، فى مدرّج كلية العلوم ، بجامعة فاروق الأول ، عن الزّار كظاهرة اجتماعية أفريقية .

فابتدأ بأن قال : إن هذا الموضوع الجديد على الباحثين الاجتماعيين فى مصر لا يعتمد على الكتب ، أو المراجع ، بقدر ما يعتمد على المشاهدة عن كثب . كان أول عهد اهتمام الأستاذ المحاضر بهذا الموضوع الخطير حين وَجَّهَهُ إلى دراسته البروفيسور «هوجارت» الأستاذ بجامعة فؤاد الأول — وكان أستاذاً لمحاضرنا الفاضل فى سنة ١٩٣٥

وقد أخبرنا الأستاذ عيسى ، أنه عثر على كتاب فى — طب الرُّكَّه ! — يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر ، أورد فيه مؤلفه حديثاً عن الزّار ، لأول مرة فى مصر ، واستدل الأستاذ المحاضر بذلك ، على أن تلك الظاهرة الاجتماعية لم تكن معروفة فى مصر قبل ذلك القرن ، ثم حدثنا عن سيدتين كتبتا عن هذا الموضوع أيضاً وفصّلتا بعض طقوسه هما : زينب فواز ، وحواء غرزوزى ، وكانتا من سيدات القرن التاسع عشر

أما المصادر الأوروبية ، فقد ذكر الأستاذ الفاضل أن البروفيسور « تشيرولى » تحدث عن الزار فى دائرة المعارف الاسلامية

وخلاصة رأى العلماء فى صدد هذا الموضوع أن الحبشة هى المنبت الأول لهذه الخرافة ، وقصة الزار فى الحبشة تبتدىء منذ اعتناق الأحباش للديانة المسيحية — وقد كانوا من قَبلُ يعبدون إلٰها يسمى ظارو ! أو دارو ! أو زارو ! على حسب الروايات — فلما استجابوا للدين الجديد ظلت آثار الديانة القديمة راسبة فيما وراء اللاشعور ، وابتدأوا يتوجسون فى أعماق نفوسهم خيفة من مظنة انتقام الإله المندحر ، زارو ! وأنشأوا ضروبا من الطقوس والشعائر البدائية يترضونه بها ، وصاروا يجتمعون فيرقصون رقصات تشبه كثيراً من المشابهة رقصاتهم الدينية القديمة تقربا وتزلفاً للالٰه القديم ...

فظاهرة الزار إذن ، ظاهرة دينية ، لا تسود فى غير الشعوب البدائية ، تلك الشعوب التى تختلف أداة تفكيرها عن أداة التفكير لدى الشعوب المتحضرة ، والتى تتفشى أمثال هذه الخرافة فى بيئاتها تفشياً يبعث على كثير من التأمل .

وإذا نحن علمنا أن رجل الشعب البدائى ، يجمع بين الأشياء التى نفصل بينها ، وأن لافرق لديه بين شخصه وبين ظله ! ولا بين شخصه وبين اسمه ! وأن الرجل الصينى حريص على أن يباعد بين ظله وبين نعش الميت وقت تسميره ، مخافة أن يموت فى الحال إذا ما قدر لهذا الظل أن يلتصق وقتذاك بالنعش . إذا علمنا ذلك ، أدركنا إلى أى مدى تتحكم الخرافات فى أمثال هذه البيئات .

وليس من شك فى أن هذه المعتقدات تجعل معتقدها مهدداً فى كل آن بغارات خفية من عالم الأرواح ، فهو فى فزع دائم لا ينقطع ، وهو محاط بغيوم من الروع جاثمة لا تنقشع . ولا عجب إذا ما اندفع إلى استرحام تلك الأرواح التى تهدده كل وقت باحتلال جسمه ، مقدماً إليها القرابين المختلفة ، ممارساً لأجلها شتى الطقوس والشعائر ، استجلابا لعطفها واستدراراً لرحمتها ورفقها .

وقد تلقت مصر أيام الثمانيين هذه الخرافة عن الرقيق الذين توافدوا إليها أثناء حملات محمد على باشا وغزواته للحبشة والسودان ، وساعد على انتشارها فى البيئات المصرية أنها كانت فى حال من الانحلال النفسىّ تبرّر تقبّلها لكل دخيل من أمثال هذه الفكر .

فمصر ، كما اهتم الأستاذ المحاضر أن يؤكد لنا ، ليست عريقة فى اعتناق ديانة زارو ، بل هى حديثة العهد بها جداً ، إذلم تعرفها قبل الربع الأول من القرن التاسع عشر .

ولا يسعنى إلا أن أقول فى إيجاز : إن الأستاذ المحاضر قد أعطانا صوراً دقيقة من مراسيم الزار ، وأكد لنا أن كلمة — زار — هى بلا شكّ تحريفٌ لإسم الإلٰه الحبشىّ القديم زارو ! ! كما برهن على أن الطقوس التى تؤدى فى هذا الصدد ليست طقوساً مصرية أصيلة ، ولكنها طقوسٌ دخيلةٌ محدثةٌ

(الاسكندرية) **على حسن حموده**

إلى ابنتي عفاف

في الربيع النضر ، حين سرى الماء في العود اليابس ، ونبضت الحياة في البراعم النابتة ، وتألق الجمال بألوانه الزاهية في الزهور المتفتحة ؛ في الربيع النضر يا ابنتي ،حين أشرق كل شيء بالبهجة ، ورقص كل حي من المرح ، ونعم كل ألف بإلفه ؛ وسكن كل طير إلى عشه ، تذبلين أنت يا زهرتي الغضة ، وربيع شبابك لا يزال في إبانه ، ويذوي غصنك الرطيب في غير أوانه ، ويخلو عشك الناعم من بسمتك الحلوة ونظرتك الأنيسة وصوتك الغرد !

وفي الربيع الماضي ، وفي مثل هذا الشهر ، ذوت أختك الجميلة أمام عينيك وبين يديك ، فعلمت كيف تروع البين، ويتصدع الشمل، ويوحش الأليف ،ويرمض الحزن ، فهلارثيت لأبيك الواله فلا تجعلي بذبولك في هذا الربيع روضه من غير زهر ، وقلبه من غير أمل ، وبيته من غير أنس !

ثلاثون يوماً يا عفاف رقدتها على جنب واحد تتبخرين كما تتبخر دمعة الحب، وتذوبين كما تذوب شمعة العرس، وبسمات الرضا لا تغيب عن ثغرك ، وومضات الأمل لا تخبو في صدرك ، وداء السل الوبيل يخادعنا ويخادعك ، فيتورد خدك ، ويرهف إحساسك ، ويرق حديثك، ويتسع رجاؤك ، فتنذرين النذور للشفاء، وترسمين الخطط لتغيير الهواء ، فنصدق الظواهر ونكذب الأطباء ونتعلق بأهداب الأمل !

ماذا دهاك يا عفاف وقد تركتك في المساء وأنت على حالة مطمئنة ،ونفس راضية مؤمنة ، وقلت لك مساء الخيرفقلت أنت مساء الخير والسعادة . أين الخير وأين السعادة ؟

والهفتاه حين أصمني صوت الناعيات المروع وأذهلني عن نفسي ، وأخرجني عن حسي ،فلم أعد أعلم مما جرى شيئاً .

أختك ياعفاف طال عليها الكرى ، وهاهي ذي في جوارك، فخلي دثارك، ودعي أزاهيرك البيض والحمر تتناثر على جسدها البالي برفق، ثم إرقدي مطمئنة يا عفاف فليس وراءك في هذه الحياة ما يقلقك في قبرك ، فابنتك الصغيرة قد ماتت منذ أشهر ، وأمك منذ ثماني حجج في جوار الله، فحييها تحية صامتة كدموع أبيك ، ولا تقصي عليها ما كان من أمر « عواطف » وهي تندبك وتبكيك !

نامي طويلاً كيف شئت يا عفاف فقد طال بك السهاد ونال منك التعب ، وقد قلت لي ليلة عدت من حلوان :

أنا بخير! لا أحب البكاء ! أريد أن أستريح ! فاستريحي يا ابنتي المحبوبة ، واسمحي لي يا زهرتي الأولى أن أقدم إليك هذه العبرات الجافة الصامتة ، وإن كنت تكرهينها ؛فإن فيها تفريجاً عن قلب أبيك الثاكل ، وما أملك لك يا أعز الناس عندي غير الذكريات الطيبة طول حياتي ، والدعوات الطاهرة في خلواتي وصلواتي .

وإلى اللقاء . والدك الحزين

حسن عبد العزيز الدالي

أرض مصر : معرض صور جان هيكمان (١)

معرض صور جان هيكمان من المعارض القليلة الجديرة بعناية كل مشتغل بالفن محب له . ولا أذكر أني زرت معرضاً حافلا بالمعاني والدروس مثل هذا المعرض ، وصاحبته ولدت في وادينا وعاشت بين ظهرانينا ، وهي إن لم تكن مصرية بالدم ، فهي مصرية صميمة بالقلب والروح ، ومعرضها دليل بليغ على صحة هذا الكلام .

ومن الفرح حقاً أن توفق هذه الفنانة الكبيرة إلى إنتاج هذا الفن المصري الصميم الذي يجمع بين الطابع المحلي البحت والروح الإنسانية الشاملة التي يتميز بها كل فن ناضج في أي بيئة .

ويجب أن نتحدث أولا عن القيمة الفنية الذاتية لرسوم السيدة جان . وهذه الفنانة تجمع بين الإحساس الفني الصحيح وهو الشعور بالقيم اللدنية للأشكال والأوضاع ، ورقة العاطفة وحيويتها ، وقوة الخيال واكتماله . ومتى توفرت هذه الملكات لفنان استطاع دون عناء أن يعثر فيما حوله من أشكال على الصور التي يتخذ منها أداة للتعبير عن ذاته ، ومع ذلك قد يظل مثل هذا الفنان بعيداً عن روح البيئة التي أنتجته فينتج إنتاجاً خالصاً للفن ينظر إليه المصري بنفس العين التي ينظر بها إليه الصيني مثلا . ولكن هذه الفنانة ، مع احتفاظها بطابعها الشخصي الخالص ، استطاعت أن تعبر عن روح بيئتنا تعبيراً وفياً فذاً .

وصورها كلها تمثل مظاهر الحيـــاة المصرية الصميمة التي نشاهدها كل يوم: الفلاحون بملابسهم وأوانيهم ، السحنة المصرية تشرق من أساريرها الروح المصرية الصميمة ، آلاتنا الموسيقية المحلية الساذجة ، الغيط والساقية والقوارب النيلية ، والعامل المصري بأعبائه الثقيلة ومسكنه المتواضع .

وصورها لا تمثل « مظاهر الحياة » فقط ، بل جوهر الحياة

(١) ٢٦ شارع قصر النيل



كتاب التصوير الفني في القرآن

تأليف الأستاذ سيد قطب

الأستاذ نجيب محفوظ

قرأت كتابك « التصوير الفنى فى القرآن » بعناية وشغف ، فوجدت فيه فائدتين كبيرتين :

أولاهما للقارىء : خصوصاً القارئ الذى لم يسعده الحظ بالتفقه فى علوم القرآن ، والغوص إلى أسرار بلاغته . بل حتى هذا القارئ الممتاز لاشك واجد فى كتابك نوراً جديداً ولذة طريفة ، ذلك أن كتاباً خالداً كالقرآن لا يعطى كل أسراره الجمالية لجيل من الأجيال مهما كان حظه من الذوق وقدره فى البيان ، فللجيل الحاضر عمله فى هذا الشان ، كما سيكون للاجيال القادمة عملها . والمهم أنك وفقت لأن تكون لسان جيلنا الحاضر فى أداء هذا الواجب الجليل الجميل معاً ، مستعيناً بهذه المقاييس الفنية التى يألفها المعاصرون ويحبونها ويَسْرون فى وادى الفن على هداها ونورها . إن عصرنا — من الناحية الجمالية — عصر الموسيقى والتصوير والقصة ، وهأنت ذا تبين لنابقوة وإلهام أن كتابنا المحبوب هو الموسيقى والتصوير والقصة فى أسمى ما ترقى إليه من الوحى والإبداع . ألم نقرأ القرآن؟ بلى . وحفظنا — فى زمن سعيد مضى — ما تيسر من سوره وآياته ، وكان — ومازال — له فى قلوبنا عقيدة وفى وجداننا سحر ، بيد أنه كان ذاك السحر الغامض المغلق ، تحسه الحواس ، ويهتز له الضمير ، دون أن يدركه العقل أو يبلغه التذوق ، كان كالنغمة المطربة التى لا يدرى السامع لماذا ولا كيف أطربته ، فجاء كتابك كالمرشد للقارىء والمستمع العربى من أبناء جيلنا ، يدله على مواطن الحسن ومطاوى الجمال ، ويجلى له أسرار السحر ومفاتن الإبداع . كان القرآن فى القلب فصار ملء القلب والعين والأذن والعقل جميعاً .

ولقد قلتَ بعد نظر طويل وتدبر « التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن . فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهنى ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور . وعن النموذج الانسانى والطبيعة البشرية . ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهنى هيئة أو حركة ؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنسانى شاخص حى ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية ... » ومضيت تستشهد لكل حالة بالأمثال مفسراً أشارحا موضحا ، ولم تقتنع بذلك فتوثبت للبحث عن القواعد التى يقوم عليها هذا التصوير المعجز من التخييل الحسى والتجسيم فى فيض المصرية وروحها ، فصورة « الأمومة » تمثل المرأة المصرية الوادعة المستسلمة المستغرقة فى شؤون العيش ، يفعم قلبها السلام والإيمان ما دامت تجد الكفاف ، وتمثل صورة « عزبة فى إمبابة » منزلا يكاد يحدثك عن الحياة التى تنطوى عليها جدرانه . وفى صورة « أرض النيل : الفلاح » تخفق روح القرية ، بل تكاد وأنت واقف تتأملها تشم رائحة التربة المصرية وتشعر بقلبها النابض ، والنسيم المتجاوب فى أنحائها ، وتلمس شقاء الفلاح وبؤسه وصبره وأمله وإيمانه وتعاونه مع زوجه .

ومن مزايا هذه الفنانة شدة الإحساس بالضوء المصرى الصافى وما يضفيه على الألوان من حيوية وقوة ، ويتجلى هذا جيداً فى المناظر الطبيعية التى رسمتها ، وهى نماذج صادقة من الجمال العبقرى وأناقة الطبيعة المصرية ، كما أنها مفعمة بالإحساس الشاعرى الرقيق — وبينما تطالعك لوحة الفلاحين مثلا بغلظة الحياة الواقعية وقسوتها ، كأنها جلاد لا يرحم ، تطالعك صورة « المحمودية » بجمال الطبيعة ورقتها وحدبها علينا ، كأنها أم رؤوم .

ولا شك أن الفنانة التى تستطيع أن تستوعب كل هذه الاحساسات وتعبر عنها تعبيرا موفقا فنانة كبيرة — ولا شك أن الفن الذى يجمع بين : (١) الشىء فى حد ذاته ، أى الشكل ذو الدلالة المعنوية و (٢) التعبير عن رؤيا فنية شخصية و (٣) الاحساس البيئى الاجتماعى الذى يصور الآلام والآمال المشتركة ، فن جدير بالذكر والتنويه والدرس والاعتبار . وإنى لأزف إلى صديقتى جان أخلص تهنئة على توفيقها التام فى رسومها التى تفتح أعيننا على صور الجمال التى تفيض بها « أرض مصر » .

نصرى عطا الله سوسى

من الأمثال والشواهد . ثم لم تقنع بما فتح الله عليك من سحر هذا الفيض الإلهى فقلت « حينما نقول إن التصوير هو القاعدة الأساسية فى تعبير القرآن وإن التخييل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان فى هذا التصوير لا نكون قد بلغنا المدى فى بيان الخصائص القرآنية عامة ولا خصائص التصوير القرآنى خاصة ... هنالك التناسق الذى يبلغ الذروة فى تصوير القرآن . » فكان هذا الفصل الذى بلغت به أنت أيضا الذروة فى النقد والذوق والفهم . كنت أود لو أستشهد ببعض ما جاء فى كتابك من النقد التطبيقى للآيات الكريمة ، ولكن تضيق عن ذلك كلمتى الموجزة ويأباه ذوق الذى يأبى المفاضلة بين آى الذكر على أى وجه من الوجوه . ومهما يكن من أمر فينبغى أن أقرر هنا أنه فى فصلى « التناسق الفنى » و« القصة فى القرآن » قد بارك القرآن مجهودك فرفعك إلى مرتقى يتعذر أن يبلغه ناقد بغير بركة القرآن..!

أما أخرى الفائدتين : فهى لك أنت ! لأن الكتاب فى جملته إعلان عن مواهبك كناقد . إنك تستطيع أن تعبر أجمل التعبير عن أثر النص فى نفسك ، ولا تقف عند هذا فتجاوزه إلى بيان مواضع الجمال فى النص نفسه وما يحفل به من موسيقى وتصوير وحياة ، ثم تستنطق الموسيقى أنغامها وضروبها ، وتستخبر الصورة عن ألوانها وظلالها ، وتستأدى الحياة حرارتها وحركتها . ولا تقنع بهذا كله ! فيقرن ذهنك بين النص والنص ، حتى تظفر وراء الظواهر بوحدة ، وخلف الآيات بطريقة عامة ، تجعل من الكتاب شخصاً حيا ذا غاية واضحة ، وسياسة بارعة ، وخطة موضوعة ، تهدف جميعاً إلى الإعجاز الفنى فتناله عن جدارة . فهذا ذوق جميل ، وتذوق عسير وفكر ذو نفحة فلسفية ...

والآن اسمح لى أن أوجه إليك سؤالا ، وأن أسوق ملاحظة:

أما السؤال : فإنك تحدثت عن التصوير والتخييل والتجسيم والتنسيق الفنى ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل أى شىء آخر ، أفلم يخطر لك أن تحدد نوع كلام القرآن على ضوء بحثك هذا ؟

وأما الملاحظة فعن الفصل الذى خصصته للنماذج الإنسانية ، فقد وجدت فيما استشهدت به من آيات ما يعبر عن طبائع بشرية وسجايا نفسية لا نماذج إنسانية ، فالنموذج الإنسانى بمعناه العلمى شىء أشمل من هذا ، وهو قد يحوى الكثير من هذه الطبائع كما قد يحوى غيرها ، والمهم أنه يعرضها على نحو خاص يتفق ومزاجه الأساسى . والنماذج الإنسانية محدودة معروفة — على اختلاف تقسيم علماء النفس لها — أما الطبائع فلا حصر لها ، فلعلك قصدت الطبائع لا النماذج .

حمارى قال لي . . .

توفيق الحكيم ... مطبعة المعارف ١٤٧ ص

للأستاذ كامل عجلان

حمار الحكيم ، لين الطبع هادىء التأمل ، يمر خفيفاً على هامات التاريخ ، يقتطف شيئاً من الدقائق القصصية مثل مشاهده فى حادثة الطوفان ... ويأبى الحكيم إلا أن يكون صادقاً فى تأملاته .

فإذا نشط الحمار وتطاول إلى الاشتراك فى « الدعاية » وتعرض (لهتلر ثم موسيلينى) وانغمس فى جحيم الحرب ، والخواطر التى تدور مع رحاها الطحون ، انفلت الحمار وصاحبه إلى الأساطير الشرقية ، فأرسل بشهر زاد إلى الغرب تتهادى هنالك . ولا لوم على الحكيم الذى أبى إلا أن يحلم عن الحرب ، وإلا أن يعيش فى أحلامه الفتنة وآرائه عن المرأة وأفكاره فى السياسة التى تجد وتجمل فى عين السياسى ورجل الاجتماع مثل (حمارى ومؤتمر الصلح) .

ومع خفة الآراء وطرافة موضوعها تطالعك شخصية الحكيم ص ٤٨ فى حزب الحمار ...

« الحمار : ألست مى ؟

الحكيم : أبداً أبداً ... ما الذى صنعناه إذن ؟

الحمار : ماذا كنت تريد أن تصنع أكثر من ذلك ؟

الحكيم : أشخاص ومكان وناد ، إنى ياسيدى — كما تعلم — لا أعرف لعب الطاولة ولا الشطرنج . ولست ساحر الحديث ، ولا ظريف المجلس ، ولا أحب أن أكون من ذوى الجاه ، كل ما عندى قلم لا أرضى أن أسخره فى هدم الأشخاص لمجرد الهدم ولا أن أستخدمه فى بناء أشخاص طمعاً فى الغنم ... الخ)

هذه هى أنفاس الحكيم ، وتلك آراؤه الهادئة العابرة ، التى لا يريد صاحبها أن يأخذ فيها بخناق أحد ، ولا يرقب شيئاً إلا الإخلاص لفنه والصداقة لحماره الذى غلب كما غلب هو على أمره أيضاً .

وقد أرانا توفيق صوراً من ظلال العاطفة المحرومة الخائفة من المرأة فى أحلامه وآرائه (حمارى والطالبة) وأبدع وتخابث وأسرف فى الصدق حين صور (العقاد) فى خوف وحذر من براثنه العملاقة ، ومن فرط حذر الحكيم كان فى فصل (حمارى

مشكلة اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

هو كتاب عالج أصعب مشكلة تواجه المعلمين والمتعلمين فى بلاد الشرق ، وهى مشكلة اللغة العربية .

لقد عالج الكتاب هذه المشكلة فأبان أن سر هـذا الإخفاق يرجع إلى سببين ، أولهما طريقة تعليم اللغة ، وثانيهما قواعدها ، أما طريقة تعليم اللغة التى تجرى عليها مدارس الشرق ومعاهده فقد ذكر أنها غير طبيعية فى تعليم اللغات ، وأقام الأدلة القاطعة على ذلك ثم بين الطريقة الطبيعية التى يجب أن تسلكها معاهد الشرق فى تعليم اللغة العربية وسائر اللغات ، وقد أفاض فى هذا القسم ولم يدع زيادة لمستزيد ، ولم يبق إلا أن يقتنع أولو الأمر فى بلاد الشرق فيأخذوا بها فإذا اللغـة العربية طيعة مذللة ، وإذا الإخفـاق الذى منيت به مدارس الشرق انقلب إلى نجاح عظيم وأما القسم الثانى — قواعد اللغة — فقد بحث الكتاب لماذا هى مبغضة إلى التلاميذ ؟ ولماذا تند عن أذهانهم فوصل إلى الحق فى ذلك ، وقد بين أن القواعد منها ما حرف وبدل ، ومنها ما هو صحيح ولكنه جرد من علله الصحيحة وألقى إلى التلاميذ جافا خاليا من التعليل .

وقد ناقش بعض القواعد مناقشة علمية هادئة فأرانا رأى العين إننا كنا ندرس باطلا وقواعد محرفة لا تصبر على النقد ، وأرانا الجديد الذى أحله محلها فإذا هو أحظى بنصرة العقل وتأييد الدليل .

وقد كنا نود أن يطيل المؤلف فى هذا القسم ولكنه وعد أن يصدر ذلك فى كتاب مستقل .

وإذا كان لنا رجاء من المؤلف فهو أن يسرع فى إخراج هذا الكتاب إذا كان على سنن ما يبينه فى كتاب مشكلة اللغة العربية فأن ذلك يكون فتحاً جديد فى اللغة .

ولا يسعنا إلا أن نشكر المؤلف على ما بذل من جهد أو ما تحمل من نصب ، بجزاه الله خيرا عن أبناء الشرق الذين يحدب عليهم ويرعاهم ، ويريد أن يوفر عليهم جهودهم وأعمارهم فينالوا فى الزمن الوجيز من اللغة ما ينفقون أعمارهم سعياً وراءه ثم لا يظفرون منه إلا بالنذر اليسير .

م

وعداوة المرأة) يشرح فكرة العقاد عن الأنوثة التى يراها دائماً كما هى فاكهة فيها الدود يتشهاها ويأخذها كما أراد لها القدر لا كما أراد الحكيم وأمثال حمارة من الناس .

ولذلك يقيد رأى العقاد بعد ذلك بأبيات منها :

انت الملوم إذا أردت لهـا ما لم يرده قضـاء باريها

ثم يجلس الحكيم وهو آس على نصيبه من المرأة وحظه منها وهو لا يفعل وإنما يتكلم ، ويعجب المرأة التى تثور للكلام ولا تتمرد وتصرخ للفعال .

وهذا ضرب من التأملات الصادقة التى توحى بسمو العقلية النابغة .

ولا ألوم الأستاذ (توفيق) فى شىء إلا أنه كثيراً ما ينسى نفسه وينسى حماره وينسى أن لغة الكتاب من وحى حماره ، وهو هنا له العذر لأن ميزة الحكيم فى (سهواته) وجماله فى (شطحاته) التى تغيب به عن المجالس وعن الناس وعن الحياة الصاخبة التى تحيط به . وبعد فالحكيم هنا موفق كل التوفيق وقد استطاع أن يمزج أفكاره العميقة بتأملاته فى الحياة والناس والمرأة والحرب وحرب الأحزاب وجحيم الأدباء وجناتهم .